

مخاضرات مقياس

الفكر الإسلامى

السنة الثانية

لغة عربىة وحضارة اسلامىة

الأستاذ محمد أوجرتنى

السنة الجامعىة 2019-2020.

## فهرس الموضوعات

### أولا مصطلحات ومفاهيم

1. مفهوم الفكر
2. الفكر الإنساني
3. الفكر الإسلامي

### ثانيا الفكر الإسلامي بين التجديد والاجتهاد

1. التجديد
2. الاجتهاد:

### ثالثا خصائص الفكر الإسلامي

1. الربانية
2. الشمولية
3. الواقعية
4. التوازن والوسطية
5. الثبات

### رابعا الفرق الاسلامية وأثرها في الفكر الإسلامي

1. أهل السنة والجماعة
2. الشيعة وفرقها
3. الخوارج ومعتقداتهم
4. المعتزلة
5. الأشعرية والماتريدية

### خامسا: مصادر الفكر الإسلامي

1. القرآن الكريم
2. السنة النبوية
3. الإنتاج العلمي والثقافي الإسلامي

### سادسا: المجددون في الفكر الإسلامي

سابعاً: الدولة العثمانية وقضايا التجديد والإصلاح  
ثامناً النهضة الأوروبية وتأثيراتها على الفكر الإسلامي  
تاسعاً: زعماء الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر

نماذج الإطحيين:

جمال الدين الحسيني الأفغاني

الإمام محمد عبده

نماذج التنويريين:

رفاعة الطهطاوي

قاسم أمين

عاشراً معالم الفكر الإسلامي المعاصر  
أحد عشر تحديات الفكر الإسلامي المعاصر

1. القومية العربية والقوميات الأخرى.

2. تحدي الحداثة

3. التطرف الديني والفكري.

4. الخلافات المذهبية.

5. التوفيق بين الأصالة والمعاصرة

6. العلمانية

7. التغريب

## أولا مصطلحات ومفاهيم

### 4. مفهوم الفكر

الفكر عبارة مجردة يعني عملية إعمال الخاطر والعقل في الشيء بهدف تحصيل رؤية أوضح عنه، ويعني أيضا التفكير والتأمل، وهي خاصية يتميز بها الإنسان دون الكائنات الأخرى. وجاء في القاموس المحيط للفيروزبادي "فكر": إعمال النظر في شيء<sup>1</sup> والتفكير فيه بواسطة العقل وينفرد الإنسان عن غيره من الكائنات بهذه القدرة، فالحيوان مهما اكتسب من مهارات وفنون سيظل عاجزا عن الإدراك والتفكير.

وعرف الجرجاني الفكر بقوله: "الفكر ترتيب أمور معلومة لتؤدي إلى مجهول." أي أن عملية التفكير هادفة يقوم بها الإنسان بناء على معارف سابقة تصله إلى فهم وإدراك وضعيات جديدة، وجاء مثله في "المعجم الوسيط" "فكر" بمعنى: إعمال العقل في الشيء، وترتيب ما يعلم ليصل به إلى مجهول.. فالفكر من أساسات العقل البشري، والكائن العاقل لا وظيفة له ولا أهمية تفرقه عن الكائنات الأخرى بغير هذه الوسيلة المهمة لإدراك الفضاء السحيق المحيط به.

واشتق من لفظ الفكر كلمة "الفكرة" والفكرة هي الصورة الذهنية التي يأخذها شخص ما عن أمر معين، فتسمى مجازا فكرة، فحينما تحدث إنسانا عن الربيع فإن أول فكرة تختلج عقله وحده هي مشاهد السماء الزرقاء الصافية والأزهار المتألثة والنسيم العليم والشمس الساطعة والفرشات الراقصة، ولكل فكر صورته الخاصة وأساليبه التي يبنيها للتخيل ولتجسيد صورة ما من الصور.

ومن الفكر اشتقت أيضا كلمة "التفكير" وتعني بدهاة عملية تشغيل وإعمال العقل من خلال النظر والتأمل في ظاهرة ما، من أجل التوصل إلى فهمها واستيعابها، وهي عمليات معقدة تعتمد على الربط والتنسيق والتقريب والمقارنة بين المكونات السابقة ثم البناء.

وفي المعاجم الحديثة والمعاصرة جاء تعريف الفكر بأنه: "الفعل الذي يقوم به الإنسان من أجل إدراك الأشياء التي تحيط به، والتي تكون في عالم المحسوسات والمعقولات"، فما يدرك الإنسان سوى العوالم التي يراها ويشعر بوجودها، وعُرف أيضا بأنه إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول والغامض المهم كما تم قوله سابقا..

والفكر هو وعاء العقل وهو الوسيلة الوحيدة للكائن البشري يستعملها لإعمال العقل وإمعان النظر في المحيط، والتي بدونها يعتبر عاجزا كغيره من المخلوقات الأرضية، فهو أداة من جهة ووسيلة لترتيب م | ترسب في ذهن الإنسان من أفكار بفعل الفكر، وإعمال العقل فيها باستمرار هو إعمال

1- الفيروزبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ص 458.

لأدوات المعرفة الثلاثة المهمة والضرورية لاكتمال عملية التفكير وهي: السمع، والبصر، والفؤاد<sup>1</sup>، فلا فكر بدون حاسة السمع لفهم المراد من الفكر القائم على التخاطب بين الناس، ولا غنى عن النظر لإدراك الصور والألوان والأشكال المعبرة من جهتها على هيئة المحيط المراد تقريبه للفكر، ولا غنى أيضا عن الإحساس والانفعال لاستعاب الظواهر المحيطة بالإنسان وإدراجها في كيانه، وقد لخصتها الآية الكريمة التي يقول فيها الله عز وجل: "إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا".

وقد يختلط لدى البعض معنى الفكر بمعنى العقل، رغم ما بينها من بون شاسع، إذ أن العقل إنما هو الإدراك بفضل مجموعة القوى الإدراكية التي خصها الله بالإنسان دون غيره من الكائنات وتتضمن الوعي بالوجود وقيمة الحياة وأهمية التشاركية مع الآخرين.

ويُعرف العقل أيضا بأنه تلك الملكة التي ينفرد بها الشخص وتمنحه القدرة على التخيل، والتميز، والتقدير، والترتيب ومعالجة المشاعر والانفعالات، التي تؤدي في النهاية إلى مواقف وأفعال معينة، وسلوكات متميزة.

فهو بمعنى المنع والإمسك وال ضبط والحفظ للأشياء التي تعرض أمامه ويقبلها، ولذلك سميت زكاة الحول عقالا لأنها تمنع صاحبها عن المآثم<sup>2</sup> والوقوع في شرور الحرص والأنانية والشح، وعرفه آخرون بقولهم أن العقل سُمي عقلا لأنه يجبس الإنسان عن فعل الشر، بل وتقاس قوة العقل من خلال قدرة الإنسان على التمييز بين الخير والشر والحسن والقبيح<sup>3</sup>، والتوصل إلى الاختيارات العملية الموفقة. ويقال الرجل العاقل أي الجامع لأمره ورأيه، وعقل البعير أي جمع قوائمه وغيرها من معاني اللغة التي أفردت لهذا المصطلح.

وقد عرف بعض السلف صاحب الفكر الإنساني المتفاعل فيما يحيط به من عناصر غامضة تستدعي البحث والنظر والإمعان فقالوا: "له في العلم ملكة تامة، ودرية كافية، وتجارب وثيقة، وحدس صائب، وفهم ثاقب، وقوة تبصرة، ونفاد فكر، وسداد رأي".، ويصفون الرجل الحافظ<sup>4</sup>، فيقولون: "صاحب الذهن الحاذق، والفكر الصائب".

ومهما بسطنا القول في الموضوع فإن الجدل في الفلسفة، الدين، ومختلف العلوم الأخرى حول ماهية العقل وصفاته ستبقى سارية بدون حسم.

---

1- مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، عن دار الجيل، الطبعة الأولى 1411هـ-1991م، مادة (فكر)، الجزء الرابع ص446.

2- محمد نعيم ياسين، مباحث في العقل، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، ص 22.

3- محمد نعيم ياسين، المرجع نفسه، ص24. وص170.

4- الحافظ مرتبة في الدين والعلم تطلق على من استجمع علوم الدين من كتاب وسنة وأقوال السابقين من الصحابة والتابعين، واختلافات الفقهاء والمتحدثين من أصحاب المذاهب والفرق.

## 5. الفكر الإنساني

مفهوم الفكر الإنساني يشمل على الموروث الفكري للإنسان في جميع ميادين المعرفة والعلوم على الصعيد النظري، على أن هناك من يدخل العلوم التجريبية والتطبيقية، كالحساب والطب والفضاء والفيزياء وعلم الميكانيكا والنقل والمواصلات وغيرها<sup>1</sup>، داخل مفهوم الفكر، فيشتمل على النشاط الإنساني بعامّة بما يخرج مفهوم الفكر عن الفكر ليشتمل على مفهوم الثقافة بل الحضارة أحياناً أخرى.

وقد وردت العديد من مشتقات الفكر في القرآن الكريم في عدة مواضع، بصيغة الفعل كقوله يتفكرون وتفكرون، كقوله تعالى لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُضِرُّهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ<sup>2</sup>، وقوله: "فاقصص القصص لعلمهم يتفكرون"<sup>3</sup> وقوله عز وجل " وفي أنفسهم أفلا يتفكرون"<sup>4</sup> وقوله تعالى: " إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"<sup>5</sup>، وقوله عز وجل في سورة الأنعام الآية 50: " قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۗ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ"، وقوله تعالى: " إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَرَهُ"<sup>6</sup>

وتندرج ضمن مجال الفكر عملية التفكير قال عز وجل: "قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشَىٰ وَقُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ۗ 7 تحمل دعوة واضحة وصريحة للتفكير من أجل إدراك الحقائق الكامنة، والوقوف على البراهين الساطعة، التي تدل على نبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال الله تعالى: "الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ"<sup>8</sup>، يدعو المؤمنين إلى التفكير في الخلق المحيط بهم، وبمجرد التفكير السليم والتأمل في ما تحمله السماوات من معجزات وخالق عظيمة، يستلهم المؤمن العبرة من الحياة والحكمة من الخلق.

1- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، المكتبة الإسلامية، إستانبول، تركيا، (بدون تاريخ)، مادة

(فكر)، ص525.

2- سورة الحشر الآية 21.

3- سورة الأعراف الآية 176.

4- سورة الذاريات الآية 21.

5- سورة الجاثية الآية 13.

6- سورة المدثر، الآية 18

7- سورة سبأ الآية 46.

8- سورة آل عمران، الآية 191.

وتناول علماء المسلمين والأصوليون موضوع الفكر بالشرح والتوضيح على مر العصور وتبيان ما استشكل منه على الناس، ونشط من هؤلاء كثيرا فلاسفة المسلمين كأبي حامد الغزالي، وإمام الحرمين أبو المعالي الجويني وابن رشد وغيرهم.

وأما العلماء المعاصرون فمنهم عبد الرحمن الكواكبي ومحمد عبده وطه جابر العلواني. هذا الأخير الذي قدم تعريفا بسيطا وشاملا لفكر بقوله: "الفكر اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة داخل الإنسان، لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحكام، أو النسب بين الأشياء".

ومما سبق يمكن القول:

الفكر هو أعمال النظر والتأمل في مجموعة من المعارف بهدف الوصول إلى اكتساب معارف جديدة.

الفكر هو ثمرة عملية التفكير، ذلك الجهد الواعي والهادف الذي يقوم به الانسان. عملية التفكير عقلية تستخدم فيها كل الوسائل المساعدة للوصول إلى حقيقة الدنيا والآخرة، سواء وسائل حسية أو مجردة...

يكون الفكر أحيانا مرادف للنظر، وهو أعمال العقل في الأمور المختلفة للوصول إلى أمر جديد كان غير مدرك من قبل، وقد ذكره الله في القرآن الكريم بهذا المعنى في قوله: "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ"1، وقوله عز وجل: "قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ"2.

## 6. الفكر الإسلامي

والإسلام هو الدين الخالد الذي جعله الله عز وجل للبشرية جمعاء بعدما نسخت الديانات السابقة، والإسلام هو الدين الذي عرف به النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويعني لغة السلم والأمان والخلوص من الآفات الظاهرة والباطنة، ويعني أيضا الخلوص والإذعان، وأما شرعا فالإسلام هو توحيد الله عز وجل والإيمان والتسليم له والانقياد لشريعته التي انزلها وتضمنتها أصولها المختلفة3.

1- سورة العنكبوت الآية 20.

2- سورة يونس الآية 101.

3- عبد الفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي، المرجع السابق، ص 17 وما بعدها.

والإسلام يقع في مقابل الشرك وضد الكفر يلزم أتباعه بنفي التلقي من الشرائع والديانات المختلفة بما في ذلك الديانات السماوية السابقة كالمسيحية والموسوية، والتي حادت عن الطريق القويم.

والفكر الإسلامي هو عبارة عن لفظة مركبة نشأت حديثاً<sup>1</sup>، من طرف مجموعة من الفلاسفة والمفكرين الذين يتخذون من الدين الإسلامي مرجعية وقاعدة انطلاق لتصحيح الأوضاع القائمة التي صار يعيشها العالم العربي والإسلامي، منذ بواكير عصر النهضة العربية، والتي تتصف في مجملها بالضعف والركود والتقهقر.

كما بلور هؤلاء هذا الفكر للرد على الانتقادات التي توجه لعالم الشرق، الذي يدين بالإسلام بنسبة تفوق 90 بالمائة، وتصفه بالجهل والتخلف وتصنف الإسلام بالجمود والتحجر والعجز على المواكبة الحضارية، ومعاداة الحداثة.

ويعرف الفكر الإسلامي الشيخ محمد البهي بقوله " هو نتاج العقل الناشئ في المجتمع الإسلامي في ظل القران والسنة وسيرة السلف الصالح"<sup>2</sup>.

ويجمع الدارسون على تعريف الفكر الإسلامي بأنه ذلك المجال المعرفي الذي تدور حوله مجموع تأملات ونظرات المفكرين المنتمين إلى المجال الموصوف بـ"الإسلامي"، وهو نتاج التأمل العقلي المنبثق عن نظرة الإسلام العامة للوجود، والمتوافقة مع قيم الإسلام ومعاييره ومقاصده، وتكون مرجعيته مؤسسة على القرآن الكريم والسنة النبوية.

ويشترط بعض المعرفين شرط آخر للدخول ضمن هذا الحقل المتميز وهو "مواكبة الفكر الإسلامي للشريعة الإسلامية"، وتحقيق التوافق بين العقل والنقل، وهي مسألة شغلت بال الكثير من المفكرين المسلمين وكتبوا فيها عشرات المئات من الرسائل والأسفار<sup>3</sup>.

واعتبره آخرون "كل ما أنتجه فكر المسلمين منذ مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليوم، في المعرفة الكونية العامة المتصلة بالخالق سبحانه وتعالى والعالم والإنسان"<sup>4</sup>.

ويشدد أصحاب هذا الفكر من أن الفكر الإسلامي لم ينطلق من فراغ وإنما استلهم من أوضاع "الجاهلية"، وهي الحقبة التي سبقت ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية، كما استلهم من المحيط الروماني والهيليني والفارسي والهندي، مختلف الوضعيات الفاسدة التي كانت رائجة آنذاك، وبنى عليها المنطلقات الصحيحة لما يجب أن تكون عليه الحياة السليمة.

1- فؤاد محسن الراوي، الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2009، ص25

2- فؤاد محسن الراوي، المرجع نفسه، ص24.

3- من الذين كتبوا في الموضوع ابن تيمية من خلال كتابه، درء تعارض العقل والنقل.

4- محسن عبد الحميد، تجديد الفكر الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، 1994، ص41.

وكان فضل الفكر الإسلامي على العرب كبيراً فقد أخرجهم من حالة السبات والبداءة إلى حالة التحضر والرقى، فشغلوا الدنيا وأخرجوا غيرهم من ظلمات الجهل إلى نور الحكمة والعقل والحق.<sup>1</sup> ويعد خارجاً عن دائرة الفكر الإسلامي كتابات المستشرقين، لعدم التزامها بالمعايير الإسلامية في فهم النصوص والمقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ولا يستثنى من ذلك حتى الكتابات التي توصف بالاعتدال والموضوعية.

وخلاصة القول أن الفكر الإسلامي هو مجموعة من المفاهيم الحديثة التي راج استعمالها، خاصة في عصر النهضة، برز زمن اليقظة العربية للردّ على الخطاب القومي العربي، وهو يمثل مجموع الموضوعات التي تخاطب العقل البشري، والتي تدفعه إلى أعمال النظر فيما يتعلق بعلاقة علوم الشريعة وقضايا العقيدة والقيم والاتجاهات الحضارية والاجتماعية، بقضايا العلوم التجريبية والحدائث والعصرنة وغيرها من القيم المستوردة من وجهة نظر إسلامية مؤسسة على خليفة عقديّة ثابتة هي مسارات القرآن الكريم والسنة النبوية واجتهادات أجيال الفقهاء والفلاسفة المسلمين.

### ثانياً الفكر الإسلامي بين التجديد والاجتهاد

ناقش الكثير من المفكرين اليوم، قضايا الفكر الإسلامي التي يطرحها رواده سواء في القديم أو في الحديث، ويميل بعضهم إلى إخضاع هذه القضايا للتجديد والاجتهاد، مختلفين في حدود ما يصل إليه مجال الفكر والعقل الناقد، الذي يبرر به هؤلاء عملية إخضاع الفكر الإسلامي للبحث والمساءلة، معتبرين الفكر الإسلامي يلامس التراث الإنساني الوضعي في جملة من القضايا الفرعية، وللإحاطة بالموضوع يجب علينا تحديد معني التجديد والاجتهاد على ضوء التعريفات الفقهية والتراثية.

#### 3. التجديد

التجديد لغة هو "وصل ما انقطع من المعهود وإعادته إلى حالته السابقة من الفاعلية والنضج"<sup>2</sup>، بعدما أدركته عناصر البلى وعوامل الفساد، ويعرفه آخرون بأنه "تصيير الشيء جديداً" فالتجديد هو وجود شيء على حالة ما ثم طرأ عليه ما أبلاه وأفسده<sup>3</sup>. وأما اصطلاحاً فهو "إحياء ما انطمس من معالم السنن ونشرها بين الناس والعمل بها"<sup>4</sup>. وهو بتعبير حديثي عملية بعث للقوى الإيجابية المحركة في الدين والشريعة، ويعتقد المسلمون أن الفكر الإسلامي قابل للتجديد والبعث، في صور أكثر جلاء عما كان عليه في مراحل الضعف والتقهر.

1- عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الغربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002، ص12.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة: جدد، الجزء الرابع، ص84.

3- عدنان محمد أمامة، التجديد في الفكر الإسلامي، دار ابن الجوزي، السعودية، 1424، ص16.

4- عدنان محمد أمامة، المرجع السابق، ص16.

وفي هذا المعنى يعرف أبو الأعلى المودودي التجديد بأنه تنقية الاسلام مما علق به من أفكار الجاهلية، بينما صوره الداعية والمفكر الإسلامي يوسف القرضاوي بأنه محاولة العودة بالإسلام إلى يوم نشأ وظهر<sup>1</sup>.

وقد خلفت عملية التجديد عبر العصور جملة التراكمات المتعاقبة من جهود الرجال والمتنورين المسخرة في إصلاح الناس وتغيير أوضاعهم الثقافية والفكرية والدينية والاجتماعية، ويستند المسلمون في هذا الأمر إلى الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" ومما يمكن استنباطه من هذا الحديث أن الأمة الإسلامية ستتحرف أحيانا عن بعض معالم السنن الصحيحة وستغير مجراها، وأن هذا التجديد سيستمر بانتظام على رأس كل مائة سنة، حتى لا يطول العهد على المسلمين فتألف قلوبهم طرق الضلال والفساد والبعد عن الصراط المستقيم.

كما أن التجديد كفلسفة وقيمة فكرية في الإسلام ثابت وكائن، لأن الإسلام قد انفرد بخصائص متعددة عن بقية الأديان الأخرى التي سبقتها، منها أن رسالة الإسلام ألغت ما قبلها من أديان ونسخت شرائعها، فهي ديانة خالدة<sup>2</sup>، أعطت للناس جميعا الكلمة الأخيرة من الله عز وجل خالق الأكوان، بحيث لم يعد ما قبلها ملائما لطبيعة التطور الإنساني الذي بلغ الرشد، قال تعالى: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً"<sup>3</sup>.

كما أن الرسالة الإسلامية قد نسخت ما قبلها من شرائع فهي موجهة إلى جميع الناس على اختلاف بيئاتهم وظروفهم الحياتية، قال الله تعالى: "قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً"<sup>4</sup>. وقد اختلف الناس عبر الأزمنة في تحديد المجددين، قال الحافظ ابن كثير "وقد ادعى كل قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث والظاهر أنه يعمُّ حملة العلم من كل طائفة وكل صنف من أصناف العلماء"، وقال ابن حجر العسقلاني في كتاب الفتح المبين "ولا يلزم أن يكون في رأس كل مئة سنة واحد فقط، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد" وقد برر دعاة الفكر الإسلامي ضرورات التجديد في الدين بجملة من المعالم التي أملت بأمة الإسلام منها:

العودة عن أسباب التقدم العلمي والتخلف عن إدراك حركة اليقظة الأوروبية.  
الاختلاف والصراع القائم بين الدول الإسلامية قديما وحديثا.

1- عدنان محمد أمامة، المرجع نفسه، ص18

2- عدنان محمد أمامة، المرجع نفسه، ص21.

3- سورة المائدة، الآية 03.

4- سورة الأعراف، الآية 158.

الاستعمار الغربي الحديث وتكالبه على بلاد الإسلام وحمله جملة من القيم الجديدة غير المألوفة....

#### 4. الاجتهاد:

الاجتهاد لغة هو "بذل الجهد في فعل شاق" فيقال: اجتهد في حمل الرحى، أي بذل الجهد والمشقة في حملها، وأما اصطلاحاً فقد عرفه العلماء بأنه: "بذل الجهد في إدراك الأحكام الشرعية ومعرفتها من حيث مشروعيتها وأدلتها والحكمة منها"، والجهد المبذول ليس من جانب استقراء الأحكام المتعلقة بقضايا الاجتهاد فحسب بل هو الإحاطة بتفاصيلها وما كتبه الأولون والسابقون فيها، وتتبعه في مختلف التأليف والمصنفات، مما قد يشكل إرهاقاً للباحث والمجتهد. وعرفه آخرون بأنه "استفراغ الوُسع في إدراك الأحكام الشرعية من مصادرها الأساسية كالقرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس وغيرها"، واستفراغ الوسع يرمز إلى بلوغ المجتهد حدا لا يرى من ورائه أية نقطة لها علاقة بموضوع بحثه فيضيفها إلى عمله بحثاً أو شرحاً أو تعليقا.

و يدعو الاسلام أتباعه إلى الاجتهاد وإعمال العقل ونبذ التقليد، فالإسلام دين الحجة والبرهان<sup>1</sup>، وقد ذم القرآن الكريم في مواطن كثير الهوى والظن القائم على سوء المعرفة وعدم اكتمال الصورة في عقول الناس، قال تعالى: "بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم"، وذكر بحال أقوام وردوا موارد الهلاك واندحروا في سوء الخاتمة، وكيف أنهم كانوا كثيري اللوم لأنفسهم بتعطيل نعمة العقل والتفكير، قال الله تعالى: "وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير"..<sup>2</sup>

والاجتهاد دليل حرية العقل التي دعا لها الاسلام وحث على عدم تعطيلها والمساس بقداسة التفكير. والاجتهاد في الرأي هو بداية النظر العقلي، الذي يوصل لمعرفة الحكمة<sup>2</sup>. وقد اختلف الفقهاء في وجوب الاجتهاد فمذهب الإمام مالك بن انس والجمهور هو الوجوب، وقد نقله القرافي في كتابه "إرشاد الفحول" حيث يقول "ومذهب مالك وجمهور العلماء وجوب الاجتهاد وإبطال التقليد".

وحدد العلماء شروط المجتهد منها الأهلية والكفاءة العلمية والمعرفة بالأحكام الشرعية، والعلم باللغة العربية والعلم بالسنة ومعرفة مواضع الإجماع ومعرفة القياس وإدراك مقاصد الشريعة الاسلامية، والاطلاع الوافي على أصول الفقه، ومعرفة مواطن الإجماع في الفقه ومسائله وفروعه، والاطلاع على أحوال العصر<sup>3</sup>. وقد فصلها ابن صلاح في أدب الفتيا بقوله: " شرط المفتي كونه مكلفاً

1- عبد الفتاح طيارة، المرجع السابق، ص 260.

2- مصطفى عبد الرازق، تمهيد تاريخ الفلسفة الاسلامية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر 1966، ص 123.

3- محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية، المرجع السابق، ص 100.

مسلمًا وثقة مأمونا متزها عن أسباب الفسق وخوارم المروءة، فقيه النفس، سليم الذهن، رصين الفكر، صحيح التصرف والاستنباط، متيقظًا".

ويعد الاجتهاد مهما جدا في الفكر الإسلامي لأنه يواكب التطور ويحقق مبدأ الاستمرارية للدين الإسلامي، ويستجيب لقاعدة التغيير<sup>1</sup> التي نصت عليها الآية الكريمة: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"<sup>2</sup>.

والاجتهاد فريضة إسلامية يتوقف عليها بقاء أصول الشريعة دائمة العطار والثمار لما يواكب المعطيات والمستجدات على مر العصور والزمان<sup>3</sup>

ومثله مثل التجديد فقد حدد الفقهاء والأصوليون مجال الاجتهاد في كل ما ليس فيه حكم شرعي قطعي الثبوت<sup>4</sup>.

وقد عرف الاجتهاد على مر العصور تطورا كبيرا ومر بأدوار عديدة<sup>5</sup> بدءا باجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم في مسائل لم ينزل فيها نص، واجتهاد الصحابة من بعده وبداية اختلافهم في طرق الاجتهاد وأدواته بسبب اختلافهم في فهم النصوص، فمال بعضهم إلى الاعتماد على الرأي كفقهاء العراق، وتمسك آخرون بالأثر كفقهاء المدينة<sup>6</sup>، ورأى آخرون أن ما اتفق عليه الصحابة هو إجماع وحجة<sup>7</sup>.

## ثالثا خصائص الفكر الإسلامي

### 6. الربانية

ويقصد بالربانية في الفكر الإسلامي كونه فكريا يستمد أصوله ومبادئه من الله رب العالمين، ملتزما بمعالم الدين التي أنزلها الله لعباده، عن طريق أنبيائه<sup>8</sup>، فتنتفي بذلك عن تعاليم الفكر الإسلامي صفات الهوى ومعالم الذاتية والانطباعية وعدم الموضوعية التي تميز العقائد الأخرى، ولا يعني ذلك كبت حرية التفكير والنظر في مضامين الدين وأحكامه وجوهر التكليف الشرعي، بل إن الدعوة إلى

1- شارل سان برو، حركة الإصلاح في التراث الإسلامي، ترجمة أسامة نبيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ص 70.

2- سورة الرعد الآية 11

3- محمد عمارة الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007.

ص25

4- يقصد بقطع الثبوت أي حكم فقهي قطعت نسبته إلى الشارع كالقران الكريم والسنة النبوية، مقتبس من موقع اسلام

ويب فتوى رقم 275845

5- محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، المرجع السابق، ص80

6- محمد أبو زهرة، المرجع السابق ص34.

7- محمد أبو زهرة، المرجع السابق ص36.

8- فؤاد محسن الراوي، المرجع السابق، ص88.

التفكر والتفقه في الشريعة الإسلامية واجبة لتلمس معالم الطريق الى الله، 'نما جُعلت النصوص القطعية كمعالم هادية للفكر البشري حتى لا يتيه وسط التساؤلات غير المجدية..

فصفة الربانية تريح نفوس المؤمنين وتربطهم بصلابة وقوة بخالقهم وخالق السماوات والأرض، الذي تجلت قدرته وربوبيته في كل مظاهر الحياة، ولا يكون ذلك إلا لمعبود بحق اتسم بصفات الكمال التي يعجز البشر وأعوانهم على تحصيلها كالعلم والقدرة والقيامة والإرادة. فالربانية خاصة يستمد منها الفكر الإسلامي مكانته، ومنها تتبلور الخصائص الأخرى التي يتميز بها، والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً فيما بينها، ولا تستمد من التصورات الفلسفية الوضعية التي ينشأها الفكر البشري في شتى المجالات<sup>1</sup>.

والإسلام يربط حياة الناس بفعل الخيرات وتجنب المنكرات من خلال الايمان بالله واليوم الآخر، وتحفيزهم للقيام بواجباتهم المختلفة والحرص أن يكونوا عناصر صالحة في المجتمع، فالدنيا بالنسبة للفكر الإسلامي مرتبطة بالآخرة وهي مزرعتها التي يحصد فيها الناس أعمالهم ويلقوا ما قدموا في الحياة الدنيا<sup>2</sup>، قال الله عز وجل: " قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)"<sup>3</sup>

## 7. الشمولية

وتعني شمول الفكر الإسلامي لكل مجالات الحياة ومناحي السعي البشري، ولا يقتصر الفكر فقط على جوانب العبادة والشعائر، وشمول الإسلام لكل مجالات الحياة يؤهله ليكون نظام حياة بامتياز، يفي بمتطلبات وحاجات الناس في مجالات العقيدة والاقتصاد والسياسة والقانون والفن والرياضة والحرب والسلام والنكاح والبيع والزواج والطلاق والتجارة، وسائر متطلبات الحياة المجتمعية، فهذه المجالات جميعاً يعنىها الفكر الإسلامي، ويقدم تصورات مناسبة لتأطيرها<sup>4</sup>.

فما من جانب من جوانب الحياة مهما كان تافهاً في نظر الناس، إلا وتناوله الفكر الإسلامي، وأوضح فيها الخير من الشر، والصحيح من السقيم، والحق من الباطل، والصدق من الكذب، والطيب من الخبيث، والغث من السمين.

وقد خاطب القرآن الكريم في مرات عديدة الناس من بني آدم دون تمييز بينهم بدين أو ملة معينة بحكم كونهم عبيد لله خلقهم ومنحهم الفرصة للتقرب من سبل النجاة وطريق الحق والخير، قال تعالى: " يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم"،

1- فؤاد محسن الراوي، المرجع السابق، ص88.

2- أحمد أمين، التكامل في الإسلام، مجلد01، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1986، ص629.

3- الآيات من سورة الأنعام.

4- فؤاد محسن الراوي، المرجع نفسه، ص102.

ويقصد بالشمولية مختلف القواعد والقوانين والنظم التي تنظم حياة الفرد والأسرة والمجتمع والأمة، وخير من جسد هذا المبدأ صحابة رسول الله الذين وصفوا برهبان الليل وفرسان النهار، فقد جسدوا الشمولية بالربط اللبق بين تكاليف الشعائر التعبدية والتكاليف الاجتماعية المختلفة، وكان الرسول في ذلك قدوتهم صلى الله عليه وسلم، جمع بين وظائف عديدة ومتنوعة فكان الزوج والأب والنبي والقائد والحكيم والمصلح والعابد الناسك وكلها وظائف تجسدت في شخصيته الفذة. ولذلك فإن الفكر الإسلامي يستمد صفات شمولية الاسلام من شخص النبي صلى الله عليه وسلم حيث جسد في ذاته الكريمة كل معالم الدين الصحيح وفق مقتضيات الشريعة ومقاصد الدين دون أن يغفل جوانب الإنسانية فيه.

## 8. الواقعية

تعني الواقعية الاستناد لما هو موجود من أجل بناء وممارسة حياة الإنسان، والتفاعل معها دون الارتباط السلبي بالغيب وانتظار التغييرات التي لم يكشف عنها بعد، والواقعية خاصة من خصائص الفكر الإسلامي، تستند إلى ما هو موجود من قيم واستعدادات فطرية في الإنسان، وتحرك فيه قيم إيجابية<sup>1</sup> دون تكليفه بأشياء لا يقدر عليها ولا تسعه قدراته القيام بها. فالعبادة والتي تتمثل في تجسيد شعائر الدين في الواقع يستطيع كل الناس ممارستها، من صلاة وصوم وحج، خلافا لكثير من الشعائر المثالية التي يعجز البشر عن أدائها في الديانات الأخرى، أو قد تصطدم بغرائز البقاء والوجود في نفسه، فالزواج والإنجاب وحب المال والإنفاق من أكثر الغرائز الفطرية في الإنسان التي احترمها الفكر الإسلامي وأقر بوجودها وضرورتها القسوى للإنسان، حتى لا يجنح إلى الكبت والرهبنة وتعطيل استعمار الحياة والضرب فيها طولا وعرضا، وهذا خلافا لما سلكته المسيحية والنحل الأخرى التي تعسفت في فهم هذه الغرائز الفطرية في بني البشر، قال الله تعالى: "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ"<sup>2</sup>، ورفع الحرج عن المؤمنين بكل واقعية عنوانه "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها".

وقد تبين مع مرور الزمن وحدث التفاعل بين الجماعات البشرية والنصوص الدينية الاسلامية أن لا خلاف بين النص الديني والرؤية العقلية، ولا خلاف أيضا بين الواقع الطبيعي وفطرة الانسان وبين العلم الشرعي وقواعده الكلية الصحيحة<sup>3</sup>.

1- فؤاد محسن الراوي، المرجع نفسه، ص 107

2- سورة آل عمران الآية 14.

3- للمزيد من البحث في الموضوع تراجع كتب العقيدة والفلسفة التي تناولت قضية علاقة العقل بالنص.

فالواقعية هي أبرز صفات الفكر الإسلامي لكونه يتعامل مع الحقائق الموضوعية الموجودة ومع الواقع المشهود، لا مع الصور العقلية المجردة، التي ينسجها الكهنة وحفاظ الأديرة، ولا مع مثاليات خيالية لا يقابلها في حياة الناس شيء يعكس ولو جزء بسيط مما تدعو إليه.

فالفكر الإسلامي يربط العلم بالعمل فلا خير في علم لم ينفع صاحبه، ويجمع بين فكرة الأصالة وروح المعاصرة فلا خير في قوم يترهبون بعيداً عن قضايا أمتهم، وطموحات الناس وأحلامهم وآمالهم. والفكر الإسلامي لا يسبح باتباعه في أوهام الخيال، والميتولوجيا ولا يحلّق في أجواء المثالية فيفرض على الناس صوراً لا وجود لها في الواقع، كما صنع الفارابي في مدينته الفاضلة وأفلاطون في جمهوريته الخيالية، فحتى الجنة التي وعد الله عباده بدخولها إن هم أحسنوا وآمنوا واتقوا وصفها لهم ووصف أطوار الحياة وتقلب الناس في رحلة الانتقال إلى الآخرة حيث مستقرهم النهائي الذي خلقوا لأجله.

فالفكر الإسلامي إذا رغم أنه ينشد تحقيق المثالية والريانية في سلوكيات المجتمع والفرد على حد سواء فهو فكر واقعي، يتعامل مع الواقع كما هو لا كما يتمناه الناس ويحلم به الفلاسفة، فلا يتجاهل فطرة الناس ومشكلات الحياة القائمة بمختلف مستوياتها، ولا يتجاهل الرغبات والشهوات الكامنة في الناس ولا يحرقها كما تفعل الأديان الأخرى والملل الكثيرة التي أباحت الزنا والخمر والدعارة ولم يحجر عليها بالرهينة والغصب والدعة للتبطل والزهد الإجماعي.

ولا يستثني الفكر الإسلامي من واقعية ما يطرحه الإنسان بكل مكوناته العقلية والنفسية والفكرية والبدنية وضح عن النبي صلى الله عليه وسلم، قوله ساعة بساعة، ساعة للعبادة وساعة للنفس والبدن يستقوي بها ويطرح عنه أسن الملل وكئيب السابق.

فكر يستوعب الإنسان بكل ما فيه من تناقضات، ومشكلات بشتى أنواعها وتشعباتها، لينطلق به نحو الرقي والمثالية المنشودة.

## 9. التوازن والوسطية

التوازن في الفكر الإسلامي يعتبر جوهر من جواهر الدين، لا يجنح في ظلّه الإنسان المسلم إلى جانب معين و يهمل جوانب أخرى، وينطلق التوازن من أبرز القضايا المتحكمة في حياة المؤمنين والمتمثل في التوازن بين الدين والدنيا، وبين عالم الغيب والشهادة، فالمؤمن مطالب بالعيش الإيجابي والتفاعل في الحياة الدنيا دون أن يغفل الإحسان والعمل للآخرة.

فيتوازن المسلم بين الخوف والرجاء، ويعبد ربه بالتالي بعيداً عن التطرف والرهبانية، ويقوم بواجبه في مجال معين دون إهمال للجوانب الأخرى، ويتوازن في الإنفاق ويتوازن في إشباع مختلف

شهوته وغرائزه، ويهدف هذا المبدأ إلى تجسيد الوسطية في منهج الحياة مصداقاً لقوله تعالى: " وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً"1...

ويرى البعض أن التوازن قيمة فطرية مرتبطة بالخلق في حد ذاته لذلك نوه القرآن الكريم بها في قوله تعالى: "ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت"2، وبدون هذه الخاصية الهامة لانفراط عقد الكون ولتمزقت أجزاؤه ومكوناته، وقد أثبت علماء الفيزياء وجود قوانين دقيقة تتحكم في شؤون الكون وتنظم ديمومته بالشكل الذي هو عليه اليوم، ومن العلماء من استند إلى هذه الخاصية في الوصول إلى تقدير معرفة الخالق عز وجل والمدبر لشؤون هذا الكون بحكمته وقوته وعلمه الواسع، إذ لا يستقيم في ذهن الإنسان العاقل وجود مثل هذا الكون الشاسع دون وجود قوة تدبر شؤونه وتنظم سيرورته وحركيته المستقيمة والمنظمة، وقدروا أن هذه القوة يجب أن تكون مفردة في ذاتها حرة في قراراتها غير مسلوبة الإرادة وذات حكمة بليغة، قال تعالى: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا".

ويحرص المسلم بفضل قيمتي الوسطية والتوازن الوسطية على البقاء على مسافة واحدة بين مكونات الشيء، فلا إفراط ولا تفريط وتمثل الوسطية أهم ركيزة تميز بها الإسلام عن غيره من الشرائع السابقة والقوانين الوضعية والديانات السماوية، كاليهودية والمسيحية، فهي تضبط استقامة المؤمنين وعدم الخروج عن الخط الموصل للنجاة. وكل نهج يخالف خاصية الوسطية مآله الفل في تحقيق ما يصبو إليه الإنسان، من الطمأنينة والأمن النفسي، وقد جاءت شريعة الإسلام بالحنفية السمحاء والوسطية والاعتدال، في كل شيء.

كما يقصد بالوسطية تحقيق التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين ومتناقضين، والتوسط بينهما، وعدم الميلان لأحدهما دون الآخر، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، ولا يأخذ أحدهما الحق أكثر من الآخر وينفرد بالتأثير على الناس دون الآخر، وخير مثال يحقق وضوح هذه الصورة تحقيق التوازن في الإنفاق قال تعالى: "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا"3، ونوه عز وجل بأن صفة التوازن عظيمة ولا تخص كوكب الأرض فقط الذي يعيش فيه المكلفون بل هي سنة كونية قال تعالى: "وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ"4. فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، ولا شطط في الفكر الإسلامي.

1- سورة البقرة ، الآية 143

2- سورة الملك، الآية 04

3- سورة الفرقان الآية 67.

4- سورة الرحمن الآية 07.

## 10. الثبات

الفكر الإسلامي فكر ثابت من حيث الأسس التي يقوم عليها، وهي العقيدة الربانية، ومنظومة القيم والأخلاق الإسلامية. وقواعد الاعتقاد والتصوير الإسلامي كلها مفاهيم ثابتة عميقة أصيلة ضاربة في جذور الفطرة الإنسانية.. وفي أعماق نفس المسلم، فالتصور عن الله، والإنسان، والكون، والحياة.. ثابت لا يتغير، ودور الإنسان في الحياة وخلافته فيها ثابت لا يتغير، ورجوعه إلى ربه في النهاية.. ثابت لا يتغير، وشريعة الله في إقامة الحق والعدل.. ثابتة لا تتغير، وبالتالي فهو فكر راسخ الجذور، ثابت ثبات الحقائق الأصيلة لهذا الوجود.

وبالتالي فهو لا يقف عند حدود الأرض، أو الجنس أو اللون أو اللغة أو القوم وهو على اطلاع على جميع المناهج والتصورات الأرضية، وكذا جميع الثقافات والديانات.. ليعرف كيف يفهمها فهمًا صحيحًا، ويزنّها بميزان الإسلام، ثم ينطلق يُوجه ويُعلم ويُرشد.. إلى صراط الله المستقيم. والربانية والثبات صفتان أساسيتان لا تنفصلان، فلا تتغير مكونات الفكر الإسلامي بالأهواء والمواقف البشرية كشأن الفكر البشري، الذي لا يعرف الثبات والاستقرار، باختلاف الأمزجة والأهواء البشرية.

فالثبات هو ثبات المصادر والأصول الأولى، كالقرآن الكريم والسنة النبوية ومقاصد الدين، والتي تنعكس على الفكر الإسلامي فتجعله فكرًا ثابتًا<sup>1</sup>.

ومن أكبر تجليات الثبات في الفكر الإسلامي: حقيقة وجود الله سبحانه وتعالى، وقيامته على الحياة الدنيا بما فيها ومن فيها، وأن الكون بما فيه من موجودات هي من خلقه تعالى، يعلم شأنها ويعلم بدايتها والحكمة من خلقها، ويعلم توقيت زوالها وتغير حالها، من أبسط الجسيمات غير المجردة إلى الجبال والبحار والمحيطات والكواكب والنجوم والأفلاك والمجرات، قال تعالى منبئًا عن علمه الدقيق بأحوال المخلوقات كيفما كان شكلها ووضعها: " وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ"<sup>2</sup>.

ومن الثابت أيضا أركان الإيمان والإسلام التي حددها الشرع الإسلامي تعد كذلك من مظاهر إثبات في الفكر الإسلامي والتي لا يمكن ممارسة هذا الدين دونها، ولا يصلح ممارسة التغيير عليها، وقد داء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن عمر قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا

1- عابد بن محمد السفيناني، الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، نشر وتوزيع مكتبة المنارة، مكة المكرمة، 1988.

ص110.

2- سورة الأنعام الآية 59.

يعرفه منا احد فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضعه كفيه على فخذيته وقال يا محمد أخبرني عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت إليه سبيلا" قال صدقت.. فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.

قال صدقت قال فأخبرني عن الإحسان قال ان تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك إلى آخر الحديث...

وبالإضافة إلى هذه الخصائص الأساسية هناك خصائص أخرى لا تقل أهمية يتفرد بها الفكر الإسلامي منها:

### المثالية

المثالية في الفكر الإسلامي قيمة عظيمة تسعى من خلالها الشريعة إلى تحقيق الضوابط والصور التي تقدمها للبشرية لتبلغ مقامات الفضيلة والقدوة، أما ما كتب عنه الفلاسفة والمفكرون على معبر التاريخ لا يعدو أن يكون عالما افتراضيا مشبع بملامح من الخيال الجامح، الذي لا يرى الطريق لتطبيقه في أرض الواقع، ومن هؤلاء الذين أسسوا لهذا المسار الفيلسوف العربي الفارابي الذي كان شديد التأثر بفيلسوف اليونان القديم أفلاطون، في ما كتب عن المدينة الفاضلة، لكنها واقعا غير قابلة للحدوث.

والفكر الإسلامي يطمح إلى تحقيق المثالية في كل شيء يتعلق بحياة الإنسان الروحية وسموه المادي والروحي للوصول إلى درجات الأنسنة والرقى والتحضر والإبداع، التي لم يصلها من قبل.. والمثالية هي تجسيد لسمو الإنسان وتحقيقه التوازن بين الروح والجسد من جهة وبين مطالبه الفطرية الفردية ومطالب المجتمع وحاجاته، بعيداً عن الجنس واللون واللغة والقومية والعقيدة، فكل الناس أصلهم واحد فلا تمايز ولا اختلاف بينهم، إلا بما يتمكنون من تحقيقه على مدارج الكمال والمثالية...

### الإيجابية

الفكر الإسلامي فكر إيجابي، بمعنى أن خلاصته لا بد أن تُفضي إلى نتيجة إيجابية تغييرية ممكنة، فإذا هو ينظر إلى الواقع المنحط، والإنسان المحطّم، والبقايا الآدمية من البشر.. ويُدرِك كل ما فيهم، لا تجعل الفكر يقف عند حدود الإدراك الأليم، وعند مشارف اليأس.. بل هو حركة إيجابية مهما انحدر الواقع، ومهما سقط الإنسان، هناك دوماً "حركة إيجابية" يمكن للفكر الإسلامي أن يصل إليها، وهناك "خطة عمل" تخطو خطوات على طريق التغيير، وتنقل الإنسان في أناة وصبر وحلم نحو الأفضل.

### الحرية

ومع ثبات هذا الفكر على الأسس التي أرادها الله تعالى.. تلك الأسس التي لن تتغير إلى قيام الساعة، مع ذلك فهو فكر حر داخل الإطار الإسلامي. بل هو فكر حر من النمطية والقولية والتقليد والجمود، بل هو يدعو إلى إطلاق طاقات العقل لتُضيف وتبدع لا لتُقلد وتجمد! فهو فكر فسيح بسعة الإطار الإسلامي، وبسعة الكون كله.. بل إن الله سبحانه أمر الإنسان أن يسير في الأرض ويُعمرها وينميتها ويكتشف سننها، وينطلق للبناء والاكتشاف في كل مجال، وتحقيق أقصى درجات العمارة في الأرض سواء في البناء والتشييد أو التنظيم والإدارة أو الاكتشاف والتطوير أو الإبداع والرُّقى.. لكن يتحرك في الإطار الإسلامي الذي يحقق ويريد خلافة الإنسان في الأرض خلافة ربانية تقيم الحق والعدل الرباني لكل إنسان في كل الأرض.

### الوضوح

يتسم الفكر الإسلامي بالإيجابية والوضوح، واضح في وسائله ومناهجه، واضح في أهدافه وغاياته ومقاصده، يستقي وضوحه من المصادر التي يعتمد عليها ويستمد منها فلسفته والتمثلة في الكتاب والسنة، فالقرآن الكريم كتاب الله تعالى الذي تعهد رب العزة بحفظه واضح لا يعتريه اللبس والغموض، وقد ثبت لدى الجماعات العلمية في كل عصر من العصور قوته من حيث البنيان اللغوي والمقاصد وقوة الحجج العلمية، وكذلك السنة النبوية فهي جلية واضحة ومعجزة ببيان وحجة ودلالة رغم التدليس والكذب، الذي زيد في كثير من مرويات النبي صلى الله عليه وسلم، وأجمع الدارسون على قوتها وتفوقها وعلوها، وجمعت من صفات كتاب الله القوة والإعجاز والحكمة.

هذا الوضوح الذي يتميز به الفكر الإسلامي، يقابله الغموض والشك والريب في الفلسفات والأفكار والمعتقدات والأيدولوجيات الأخرى سواء الحديثة أو القديمة، التي تدفع معتنقيها للسبح في أتون الشك والتردد والارتباك والتهيه، إن على مستوى وسائلها أو على مستوى مقاصدها وغاياتها.

### موافقة الفطرة

ويقصد بالفطرة تلك النوازع العميقة في الإنسان التي بثه الله في بني آدم باختلاف نحلهم ومبادئهم، وقد خاطب القرآن الكريم الناس مرارا وفق ما تنطوي عليهم فطرتهم وما تدعوهم إليه، كيف لا وأن هذا الخلق هو جزء من صنيعه الخالق الذي يعلم علم اليقين الأزلي ما تتركب منه نفوس الخلق وأمزجتهم وما تتطلبه من احتياجات.

### رابعاً الفرق الإسلامية وأثرها في الفكر الإسلامي

عرف المسلمون بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام اختلافات عديدة سياسية ودينية وفكرية، وقد وقع الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم وهم بشر كغيرهم من الناس يجتهدون ويصيبون وتتنازعهم الأهواء والقيم المختلفة.

ولقد اختلفوا في شؤون عديدة في حياة النبي وهو يعيش بينهم، كاختلافهم في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة"، ففهم بعض الصحابة كلامه على وجوب صلاة العصر في بني قريظة، فامتنعوا عن أداء صلاة حتى تفتح بني قريظة، بينما اعتبرها آخرون دعوة لإسراعهم في فتح هذه القرية حتى لا تفوتهم صلاة العصر، فصلوا في الطريق، واختلفوا في شؤون أخرى كذلك.

ويستند أغلب الدارسين لما آل إليه أمر المسلمين من الاختلاف والتباين في الشؤون الدينية والسياسية إلى الحديث المشهور المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، في أن الأمة ستفترق إلى بضع وسبعين فرقة<sup>1</sup>.

### 1. أهل السنة والجماعة

مصطلح السنة يساق في مقابل البدعة، والسنة لفظ معناه "جماعة المسلمين"، التي أمرها الله تعالى بالتمسك بكتابه ومنهج نبيه صلى الله عليه وسلم<sup>2</sup>، لقوله تعالى "وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا"<sup>3</sup>، وقوله تعالى "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ"<sup>4</sup>

وقد استعمل هذا المصطلح بسبب ظهور أهل الأهواء والزيغ من الفرق الإسلامية كالشيعة والمرجئة والخوارج والقدرية والمعتزلة والجهمية وغيرها.

ويستند الذين يعتقدون في هذا المصطلح على الحديث المشهور المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي قال فيه: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ"<sup>5</sup>.

ويقوم منهج أهل السنة والجماعة على أساس إتباع السنة النبوية الصحيحة، التي يحقق اتباعها النجاح والفوز في الدنيا وفي الآخرة، ويحقق السلامة والتوفيق بعيدا عن الممارسات الخاطئة والضلالة التي يرتكبها الناس، ويجسد حديث النبي صلى الله عليه وسلم، الذي رواه الصحابي العرياض بن سارية التميمي بوضوح وجلاء فلسفة أهل السنة والجماعة في مواجهة الحياة وتطوراتها وتعقيداتها

1- عبد الحليم محمود، المرجع نفسه، ص95..

2- شلي أبو زيد، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، 1433 هـ 2012 م، ص294.

3 سورة آل عمران 103

4- سورة الأنفال الآية 46

5- الحديث رواه الصحابي العرياض بن سارية التميمي قال: "وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها الدموع، فقلنا: يا رسول الله! كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: (أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيري اختلافًا كثيرًا). فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة". رواه أبو داود [رقم: 4607] والترمذي [رقم: 2676] وقال: حديث حسن صحيح.

المختلفة، ومما جاء فيه: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تولي عليكم عبد حبشي، فإنه من يعيش منكم، يرى اختلافاً كثيراً وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ".

فالمسلمون كلهم جسد واحد، ربهم واحد ونبیهم واحد ودينهم واحد، وكتابتهم واحد، فهم معنيون كلهم بالانضواء تحت هذا الفضاء الفسيح، الذي يشمل تحته كل من نطق بالشهادتين وعمل بمقتضاهما.

وقد نهى الله عز وجل عن الاختلاف والتنازع والافتراق في الدين، لأن ذلك يُصير الأمة شيعاً وأحزاباً متفرقين، قال تعالى "إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ"<sup>1</sup>، وقال أيضاً وقوله الحق عز وتعالى "مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ"<sup>2</sup>.

ولا يشمل الاختلاف المذموم الخلاف بين العلماء والمجتهدين في شؤون الفقه والتعاملات اليومية والتي تمثل وجهاً من وجوه الرحمة والتناغم في الدين الإسلامي،

وعُدَّ الاختلاف خاصة في الفروع وسيلة للتيسير كما يقول أحد الفقهاء: "اختلاف العلماء رحمة للخلق وفسحة في الحق وطريق مهياً إلى الرفق بهم" وعند آخرين عدوه من محاسن الشريعة<sup>3</sup>.

ويسميه البعض الخلاف السائغ، وقد اشترط الفقهاء له جملة من الشروط ليكون صحيحاً منها سلامة القصد والأهلية العلمية والاختلاف في المسائل الظنية وعدم الشذوذ<sup>4</sup>

واختلف الفقهاء في معنى عبارة "الجماعة" فمنهم من قال الجماعة هي جماعة المسلمين الذين ينضون تحت المذاهب الأربعة، المذهب الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، حيث عملوا على بناء القاعدة الإيمانية الصحيحة والصلبة التي تتشكل منها عقيدة المسلم، كما أن الاختلاف بين هؤلاء الأئمة والفقهاء لم يحصل في أمور الاعتقاد، وإنما اختلفوا في الأحكام الفرعية، ومنهم من قال هي "ما عليه عامة الناس من عقائد وديانة بعيدة عن التشويه والتلبيس"، تنزيلاً لقوله تعالى في سورة الأنعام "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"<sup>5</sup>، والصراط المستقيم هو سبيل الوسطية والاعتدال فلا تفريط فيه ولا إفراط.

1- سورة الأنعام. الآية 159.

2- سورة المؤمنون. الآية 32.

3- نوار بن الشلي، لمحات في الفكر المقاصدي عند القاضي ابن عربي، 543هـ في مجلة المعيار، جامعة الامير عبد القدر، العدد 12، 2006، قسنطينة، ص 33.

4- محمد سماي، الخلاف الفقهي مفهومه ضوابطه وقواعده، في مجلة المعيار، جامعة الامير عبد القدر، العدد 20، 2010 قسنطينة، ص 259.260.

5- سورة الأنعام، الآية 153.

ويرى أهل السنة أن ركائز الإسلام هي تلك التي ذكرها الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، وهي التي يُبنى عليها الإسلام، وبفعلها يعتبر الإنسان مسلماً. وأما أصول الفقه، فهو ذلك العلم الذي وُضع لتفسير أمور الدين وقضاياها الغامضة، فهو مبني على أسس ثابتة اتفق حولها العلماء منها القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس، كما تقاربت آراؤهم حول كيفية التعامل مع هذه الأسس ووضعوا لها قواعد عرفت عند البعض بالقواعد الشرعية.

وقد روت الكتب الستة الصحيحة جل ما جاءت به السنة النبوية فضلاً عن المسانيد الأخرى وهي صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن النسائي، وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه، ومسند الإمام أحمد بن حنبل وغيرها<sup>1</sup>.

## 2. الشيعة وفرقتهم

الشيعة في اللغة تعني أتباع الرجل وأنصاره، ويطلق اللفظ على الفرد والمجموعة، وقد غلب على كل من تولى علي بن ابي طالب وذريته من بعده<sup>2</sup>. وقال ابن منظور أن الشيعة هم أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شِيعٌ، وأشياع وأصل الكلمة "الفرقة من الناس"<sup>3</sup>.

وقد ورد لفظ الشيعة في القرآن الكريم في نحو 12 موضع منها قوله تعالى: "إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء"<sup>4</sup> وغيرها من الايات الكريمت، كما ورد اللفظ في السنة النبوية في الحديث المشهور الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم ما يكون من شأن ذو الخويصرة التميمي الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "ما أراك عدلت؟؟ فقال فيه النبي عليه السلام "سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه".

وأما الشيعة اصطلاحاً فإنها تطلق على كل من تولى الإمام علي بن أبي طالب، وفضله عن غيره من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، سواء في الإمامة والاستخلاف بعد وفاة النبي أو في التلقي لشرائع الدين<sup>5</sup>، وفق ما ذكره أبو الحسن الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين<sup>6</sup>.

1- محمد سليم العوا، المدارس الفكرية الإسلامية من الخواج الى الاخوان المسلمين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2016، ص293.

2- الفيروزبادي، القاموس المحيط، المصدر السابق، الجزء3، ص47.

3- إحسان الاهي ظهير، الشيعة واهل البيت، ط02، إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان، ص21.

4- سورة الأنعام الآية 159.

5- محمد حسين الزين، الشيعة في التاريخ، الطبعة02، دارالاثار للطباعة، بيروت، لبنان، ص1979، ص27.

6- أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، لبنان، 1990،

وأما الإمام الشهرستاني فقد زاد في تعريفه للشيعة بانهم من شايعوا عليا وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية<sup>1</sup> إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا يقينا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وذريته من بعده، وإن خرجت فبظلم من غيره أو بتقية من عنده<sup>2</sup>.

وورد لفظ الشيعة في التاريخ أول مرة على ما قاله المحققون في وثيقة التحكيم التاريخية التي وقعت بين أنصار علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله حيث ذكر نص الاتفاق: "هذا ما اتفق عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما..."<sup>3</sup>

وقد صنف المحققون الإسلاميون فرق الشيعة إلى ثلاثة أصناف كبيرة، فالأشعري يقول بأن فرق الشيعة ثلاث: الغلاة، الروافض (الإمامية)<sup>4</sup>، والزيدية، وهو نفس التصنيف الذي سلكه ابن تيمية حيث صنف الشيعة إلى ثلاث درجات، أقبحها الفرقة الغالية، وهم الذين يجعلون لعلي بن أبي طالب شيئاً من الألوهية، ويعتبرونه أحياناً نبياً مكان النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأما الذين هم في الدرجة الثانية فهم الرافضة، الذين يصطلح على تسميتهم بالإمامية<sup>5</sup>، حيث يعتقدون بإمامة علي بن أبي طالب وتفضيله عن سائر الصحابة، وأن النبي قد نص على ذلك صراحة وأن الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به<sup>6</sup>.

وأما القسم الثالث فهم الزيدية، الذين ينتسبون لزيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب، والذي ظهر في خلافة هشام بن عبد الملك سنة 121هـ، والذين يعدون أقرب فرق الشيعة للفكر السالامي السليم، فهم يفضلون علياً على أبي بكر الصديق وعمر الفاروق، ولكن يعتقدون بصحة إمامتهما وعدالتهما ويتولونهما<sup>7</sup>.

وينسب بعض العلماء والمؤرخين عقائد الشيعة لطوائف وملل خارج الدائرة الإسلامية كاليهود والفرس<sup>8</sup>، كالغيبية والرجعة والبداء وغيرها.

ومن أبرز الآراء التي يشترك فيها الشيعة بمختلف فرقهم القول بالإمامة لذرية علي بن أبي طالب ورفض مصطلح الخلافة، الذي دأب أهل السنة وبقية الفرق الإسلامية الأخرى على المطالبة به،

1 - يعني أن الشيعة تعتقد في أن خلافة علي بن أبي طالب للنبي منصوص عنها في الكتاب والسنة النبوية، وأدلتها منهما قد تكون واضحة جلية يدركها عوام الناس وقد يعجزون عن إدراكها، خلافاً لعلماء الشيعة وأئمتهم.

2- أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، المصدر السابق، ص 89.

3- بن عبد الله القفاري، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، عرض ونقد، مجلد 01، دار الرضا للنشر والتوزيع، الطبعة 04، الجيزة، مصر، 2010، ص 44.

4- الشهرستاني، الملل والنحل، ج 01، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي وأولاده، مصر، 1967، ص 162.

5- إحسان الاهی ظهير، الشيعة والتشيع، دار ابن حزم، القاهرة، 2008، ص 147.

6- المرجع نفسه، ص 89.

7- المرجع نفسه، ص 136.

8- بن عبد الله القفاري، المرجع السابق، ص ص 94..96...

لتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية، ويعد الشيعة مسألة الإمامة غير منطوية باجتهادات البشر، وقد ربطها الشارع بالإمام المجتبي والمهدي الغائب الذي خصه الله بحراسة الدين واستكمال رسالة الأنبياء<sup>1</sup>. كما يعتقد بعض الشيعة أن الأئمة أفضل من الأنبياء<sup>2</sup>، ويتعرضون بالطعن في الصحابة<sup>3</sup> رضي الله عنهم وفي أم المؤمنين عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كرّس هذا التوجه العدائي البغيض فقهاؤهم وعلماءهم كالكليني وابن بابويه القمي وغيرهما<sup>4</sup>.

### 3. - الخوارج ومعتقداتهم

تعد فرقة الخوارج أول فرقة إسلامية ظهرت على مسرح الأحداث<sup>5</sup>، ويرى أغلب الباحثين والمؤرخين أن شخصية "ذو الخويصرة التميمي" هو أول زعيم للخوارج بالاستناد إلى واقعة مميزة رواها مؤرخو السير، فأثناء تقسيم الغنائم بين المسلمين بعد إحدى الغزوات، بادر هذا الرجل النبي صلى الله عليه وسلم وشده من مئزره قائلاً له: "اعدل يا محمد فإنك لم تعدل" فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "ويحك ومن يعدل إن لم يعدل؟"<sup>6</sup>

وقد جاء في صحيح البخاري قصة هذه الحادثة، فعن أبي سعيد قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يقسم، جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي، فقال "اعدل يا رسول الله" فقال "ويلك ومن يعدل إذا لم يعدل" قال عمر بن الخطاب "دعني أضرب عنقه" قال "دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"<sup>7</sup> ويرجع بعض الدارسين نشأة هذه الفرقة إلى الشخصية التاريخية الغامضة عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي تناولته الأبحاث والدراسات مرات كثيرة وعجت بذكره ودوره التأمري كتب السير والمغازي والطبقات<sup>8</sup>.

والخوارج فرقة سياسية ودينية خرجت على "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه في عدة مناسبات، وكانوا يكتنون له كرها شديدا وبغضا، وكانوا من أتباعه في صفين، فلما زلت بهم أقدام الجدل والعقل تهادوا في عناده وخصومته وقتاله، حتى أزهقوا روحه رضي الله عنه سنة 40هـ.

1- محمد حسين الزين، المرجع السابق، ص43.

2- إحسان الاهي ظهير، الشيعة واهل البيت، المرجع السابق، ص26.

3- إحسان الاهي ظهير، المرجع نفسه، ص170.

4- الشهرستاني المصدر السابق، ص190.

5- شلي أبو زيد، المرجع السابق، ص290.

6- محمد أحمد عبد القادر، ملامح الفكر الإسلامي بين الاعتدال والغلو، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003، ص145.

7- نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، نشأتهم تاريخهم عقائدهم وأديهم، الطبعة 03، دار الطليعة للطباعة والنشر،

بيروت، 1981، ص13.

8- نايف معروف، المرجع نفسه، ص35.

والخوارج لا يعدون أنفسهم خارجين عن الدين بل خارجين من أجل الدين، ومن أجل إقامة شرع الله في اعتقادهم، كما يرون أنهم جسّدوا مبدأ "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، وقاموا بقتل المخالفين سرّاً أو علناً.

وقد أطلقت عليهم عدة تسميات منها: الخوارج، والحرورية، والشراة، والمارقة، والمحكمة، والازارقة<sup>1</sup> وغيرها من التسميات التي ترتبط بمواقف وقفوها أو بأفكار نشروها بين الناس. وكان أغلب الخوارج من طائفة "القراء" الحافظين للقرآن الكريم، كثيري الصلاة والقيام، بايعوا علي بن أبي طالب بعد مقتل عثمان بن عفان، ولما خرج معاوية في جيشه الشامي لملاقاة علي بسبب رفض معاوية بيعته حتى يتم الانتقام من قتلة عثمان والتقى الجيشان عند صفين، كاد جيش معاوية أن ينهزم أمام علي فاقترح عمرو بن علي أفراد الجيش أن يقوموا برفع المصاحف على أسنة الرماح، ثم طلبوا من الخصمين الاحتكام لكتاب الله، فتوقف القتال وانتهى بحادثة التحكيم المشهورة<sup>2</sup>.

وعند الانتهاء من التحكيم ووقوع علي وأتباعه في مكيدة خصمه عادوا إلى العراق فخرج إثنًا عشر ألف رجل من جيشه رفضوا فكرة التحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، معتبرين أن تحكيم رجال في نزاع حكم فيه الاسلام ضرباً من التجني والمروق عن الدين، فكتاب الله قد "حكم" في أمر هؤلاء "البغاة" ويقصدون معاوية وأنصاره، ومن ثم لا يجوز تحكيم الرجال كعمر بن العاص وأبي موسى الأشعري، فيما "حكم" فيه الله عز وجل، ورفعوا شعارهم المعروف "لا حكم إلا لله".

ومن هنا ومنذ ذلك التاريخ أطلق عليهم لفظ "المُحكِّمة"، وعقب علي بن أبي طالب على عبارتهم بقوله: "كلمة حق أريد بها باطل"، واختار المُحكِّمة عبد الله بن وهب الراسبي الأزدي أميراً لهم. ومن أبرز الأفكار التي تميزت بها هذه الفرقة:

وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة الإسلامية السمحة، ولا يجب أن يكون الإمام قرشياً. ضرورة البراءة ممن يوالي السلطان حتى ولو كان منهم.

مرتكب الكبيرة كافر، وصاحبها مخلد في النار إلا "النجيدات" وهي فرقة منهم فإنها لا تقول بذلك<sup>3</sup>.

القول بخلق القرآن<sup>4</sup>.

1- الشهرستاني المصدر السابق، ص 118.

2- أبو الحسن الأشعري، المصدر السابق، ص 167.

3- محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، دار الشروق، 02. بيروت لبنان دت، ص 15.

4- محمد سليم العوا، المرجع السابق، ص 210.

#### 4. المعتزلة

هي فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري في العراق وتنسب إلى واصل بن عطاء الذي اعتزل الحسن البصري بسبب خلاف بينهما حول المؤمن العاصي، ومرتكب الكبيرة حيث كان الحسن البصري يرى بأنه ليس كافر<sup>1</sup>، في حين رأى واصل أنه ليس بمؤمن ولا بكافر وإنما هو في منزلة بين المنزلتين<sup>2</sup>، وبعدها قال الحسن البصري اعتزلنا واصل بن عطاء فصار يسمى بالمعتزلي وسمي أصحابه معتزلة..

ويمكن حوصلة أفكار المعتزلة في جملة من المسائل هي:

النزعة العقلية في تأسيس عقائدهم وتقديم العقل على النقل.  
رفض الأحاديث التي لا يقرها العقل.

وجوب معرفة الله بالعقل ولو لم يرد شرع بذلك.

تقديم العقل على النقل لأنه أصل النص، إذا تعارض النص مع العقل.

ومن أشهر أعلام المعتزلة الزمخشري صاحب تفسير الكشاف، وأبو عمرو الجاحظ، والخليفة العباسي المأمون والقاضي عبد الجبار وغيرهم. وقد وضع الدارسون خمسة أصول يقوم عليها فكر الاعتزال هي:

1- التوحيد: ويعني إثبات وحدانية الله ونفي المثل عنه<sup>3</sup>.

2- العدل: ويقصد به النفي أن يكون الله خالقا لأفعال عباده، وإنما العباد هم الخالقون لأفعالهم إن خيرا وإن شرا<sup>4</sup>.

3- المنزلة بين المنزلتين: وتمثل أهم عقيدة قامت عليها دعوة الاعتزال، اختلف فيها واصل بن عطاء مع الحسن البصري، إذ يعتقد المعتزلة أن الفاسق في الدنيا لا يسمى مؤمنا ولا يسمى كافرا، بل هو في منزلة بين هاتين المنزلتين، فإن تاب تاب الله عليه، وإن مات مصرا على فسقه كان من المخلدين في عذاب جهنم<sup>5</sup>.

4- الوعد والوعيد: والمقصود به إنفاذ الوعيد في الآخرة على أصحاب الكبائر وأن الله لا يقبل فيهم شفاعاة، ولا يخرج أحدا منهم من النار<sup>6</sup>.

1- الشهرستاني المصدر السابق، ص 43.

2- محمد سليم العوا، المرجع نفسه، ص 193.

3- عبد العلي محمد قابيل، في علم الكلام وأهم مدارسه، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، 2015، ص 188..

4- عبد العلي محمد قابيل، المرجع نفسه، ص 216...

5- المرجع نفسه، ص 216...ص 242.

6- المرجع نفسه، ص 216...ص 251..

5-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ومن خلاله أجمع المعتزلة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تنفيذاً لوصايا الدين فقتال أئمة الجور واجب لمجرد فسقهم، ووجوب الخروج عليهم عند القدرة على ذلك<sup>1</sup>

### 5. الأشاعرة والماتريدية

يعتبر المؤرخون والمحققون أن الأشاعرة والماتريدية من مدارس أهل السنة والجماعة التي واجهت فرق المعتزلة باستخدام أساليب المنطق وعلم الكلام في الدفاع عن النصوص وتوضيحها، وعلم الكلام كما عرفه الباحثون هو علم يعتمد على استعمال الأدلة العقلية والمنطق للدفاع عن العقيدة الإسلامية ومنهج أهل السنة وحراسته من تغوّل الفرق الأخرى<sup>2</sup>، ويرى ابن خلدون أن علم الكلام استعمل للدفاع عن عقيدة المسلمين السليمة ودحض آراء المبتدعة والمنحرفين<sup>3</sup>.

وسميت بالأشعرية نسبة إلى "أبو الحسن الأشعري" وهو الذي عمل على التصدي للمعتزلة باستخدام حجج عقلية وبراهين منطقية سعياً لإثبات عقيدة السلف<sup>4</sup>.  
وأما الماتريدية فهي نسبة إلى "أبو منصور الماتريدي" الذي عمل هو الآخر كذلك على إثبات عقيدة السلف باستخدام علم الكلام والفلسفة، وتعتبر أفكارهم قريبة للغاية من فرق الأشاعرة. وينتسب إلى الماتريدية عامة الأحناف وأكثر مذاهب الفقه السني انتشاراً.

والأشاعرة والماتريدية هم الذين قاموا بالرد على الفرق الضالة والطوائف المنحرفة، وقد اشتهر الكثير من الفقهاء بانتسابهم للأشعرية من أهل السنة والجماعة منهم الفقيه ابن حبان صاحب الصحيح المعروف باسم صحيح ابن حبان، وكذلك الدارقطني صاحب كتاب العلل الواردة في الأحاديث النبوية، وصاحب السنن المعروفة باسمه "سنن الدارقطني"، والحاكم النيسابوري صاحب المستدرک على الصحيحين، وكذلك "البيهقي" صاحب السنن الكبرى والصغرى، والخطيب البغدادي، وابن عساكر، وأبو نعيم الأصبهاني، والقاضي عياض، والعزبن عبد السلام، وابن حجر العسقلاني وغيرهم. ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن الماتريدية يعدون من أهل الإثبات للصفات الإلهية كأهل السنة والجماعة، وأنهم أقرب إلى أهل السنة من باقي الطوائف، على أنه يفرق بين أئمتهم المتقدمين وبين متأخريهم، فالمتقدمين أقرب إلى السلف وأهل السنة، من المتأخرين الذين هم أقرب إلى الجهمية والمعتزلة<sup>5</sup>.

1- المرجع نفسه ، ص216...، ص258...

2- المرجع نفسه ، ص216...ص13..

3- المرجع نفسه ، ص216...ص17.

4- عبد الحلیم محمود، المرجع السابق. ص117.

5- أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى الكبرى، مكتبة المعارف، الرباط، دت، ص ص101.90.

## خامساً: مصادر الفكر الإسلامي

مصادر الفكر الإسلامي وأصوله هي:

### 1. القرآن الكريم

هو المصدر الأساسي القطعي الثبوت والقطعي الدلالة، الذي يسير على ضوئه المسلمون، نزل به جبريل عليه السلام، على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ليلة القدر<sup>1</sup>، ويشتمل مجالات العقائد والعبادات والأحكام وأخبار الجنة والنار وأخبار الأمم السابقة والقصص<sup>2</sup>.

والقرآن الكريم يمثل معجزة النبي محمد صلى الله عليه وسلم للعالمين، وأن آياته تتحدى الناس في كل زمان ومكان بأن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله، وهو أصل الإسلام الأكبر<sup>3</sup>.

ونزل القرآن الكريم على النبي للبيان والإعجاز، وهو الكتاب الوحيد المنقول عنه بالتواتر<sup>4</sup>، والمحفوظ في الصدور والسطور من كل مس أو تحريف أو تزييف، وهو الكتاب الوحيد المتعبد بتلاوته، وهو آخر الكتب السماوية، جمع من البلاغة والبيان والفصاحة ما عجز عنه البلغاء والفصحاء، ولفظ القرآن معجز في حد ذاته لأن لا نظير له في كلام العرب<sup>5</sup>..

وقيل في تعريف القرآن الكريم أنه كلام الله العزيز والنص الإلهي المنزل بواسطة الوحي<sup>6</sup> على رسول الإسلام وخاتم النبيين محمد بن عبد الله بلغة العرب ولهجة قريش، والمكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته المعجز ولو بسورة منه، وهو المعجزة الإلهية الخالدة التي زوّد الله تعالى بها رسوله المصطفى وهو الميراث الإلهي العظيم والمصدر الأول للعقيدة والشريعة الإسلامية<sup>7</sup>.

ويضيف بعض الفقهاء تعاريف مفيدة أخرى منها " المعجز أو المتحدي بأقصر سورة منه أو المتعبد بتلاوته أو الاسم لمجموع ما هو موجود بين دفتي المصحف أو المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس"، وهو معجزة النبي محمد صلى الله عليه وسلم<sup>8</sup>.

- 
- 1- محمد أحمد عبد القادر، ملامح الفكر الإسلامي بين الاعتدال والغلو، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003، ص 31.
  - 2- صونيا وافق، قطوف العجلان من علوم القرآن، دار الفجر، قسنطينة، 2007، ص 06.
  - 3- سالم المقصودي، من أجل نظرية إسلامية معاصرة في الفكر والسياسة، دار الانتشار العربي، 2009، ص 21.
  - 4- عبد الفتاح طيارة، روح الدين الإسلامي، ط 06، دار الكتب بيروت لبنان، 1964، ص 22.
  - التواتر: أي نقله جمع عظيم عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى جمع عظيم آخر، وهكذا حتى وصلنا..
  - 5- عمر السلمي، الإعجاز الفني في القرآن، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1980، ص ص 25-27.
  - 6- الوحي لغة معناه الكلام الخفي، وأوحيت له أي كلمته خفية،
  - 7- محمد سامي، الإعجاز البياني في الرقان الكريم، دراسة نظرية تطبيقية في الآيات المحكمات، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2007، ص 107.
  - 8- عماد الدين أحمد حيدر، ابوبكر الباقلاني، اعجاز القرآن مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان 1991، ص 39.

وقد نزل القرآن الكريم الذي جعله الله هداية للبشرية جمعاء<sup>1</sup>، خلافا للكتب السماوية الأخرى مفرقا على امتداد ثلاثة وعشرين سنة، ولم ينزل دفعة واحدة كالزبور والتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم، قال الله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا"<sup>2</sup>، ومن حكم نزول القرآن مفرقا مايلي:

1. تثبيت قلب النبي: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا"

2. الرد على الشبهات والأراجيف التي كان يصنعها قال تعالى: "وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا"

3. تيسير حفظه واستيعاب معانيه وأحكامه للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام.

4. التدرج في تنزيل الأحكام الشرعية لتعوييد المسلمين على العقيدة الإسلامية الجديدة

شيئا فشيئا ونبد عادات وتقاليد الجاهلية، التي كانت راسخة في نفوس الناس.

5. النزول حسب الحاجة للرد على ما يحتاجه المسلمون من قضايا<sup>3</sup>.

وقد جمع القرآن الكريم بعد وفاة النبي محمد في مصحف واحد بأمر من الخليفة الأول أبو بكر الصديق<sup>4</sup>، وبعد وفاة الخليفة عمر بن الخطاب، ظلت تلك النسخة محفوظة لدى أم المؤمنين حفصة بنت عمر، إلى أن رأى الخليفة الثالث عثمان بن عفان حدوث الاختلاف بين المسلمين في القراءات لاختلاف لهجاتهم، فسأل حفصة بأن تسمح له باستخدام تلك النسخة التي بحوزتها، والمكتوبة بلهجة قريش لتكون أساس النسخ التي أمر عثمان بن عفان بنسخها منها، ثم أمر بترك ما يخالف ذلك المصحف الذي اصطلح على تسميته بالمصحف العثماني، وتوزيع نسخ منه على الشام والعراق واليمن ومصر واحتفظ لنفسه بنسخة منه<sup>5</sup>.

وقد كان لكثير من الصحابة فضل وشرف كتابة القرآن الكريم منهم الخلفاء الراشدون الأربعة وزيد بن ثابت وأبي بن كعب ومعاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد والمغيرة بن شعبة والزبير بن العوام وغيرهم من السادة الأفاضل<sup>6</sup>.

وقد تعهد البارئ عز وجل على حفظ القرآن من التحريف<sup>1</sup> والتزييف طيلة مرافقته للبشرية في رحلتها الطويلة، إذ ولا ريب فهو كتاب الله الخالد للبشرية جمعاء التي دعاها خالقها للدخول في دينه

1- محمود شلتوت، المرجع السابق، 205.

2- مصطفى صادق الرافعي، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط09، دار المناب العربي، بيروت لبنان، 1973، ص35.

3- محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ط03، مكتبة رحاب، الجزائر، 1986، ص29.

4- محمود شلتوت، المرجع السابق، ص 26.

5- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص29.

6- محمود شلتوت، المرجع السابق، ص25.

الذي أنزله على النبي محمد بن عبد الله، قال تعالى: "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾"<sup>2</sup>

وقد قام عدد كبير من العلماء والفقهاء بدراسة القرآن الكريم وتفسيره، وبعضهم قام بكتابة تصانيف أخرى عبر مختلف الأزمنة سموها "أحكام القرآن" جمعوا فيها الآيات القرآنية التي تناولت الأحكام الفقهية التي تنظم شؤون المسلمين، وكذلك استنبط علماء آخرون من هذا الكتاب الكريم أحكام العبادات والمعاملات، وذلك تسيهلاً على الناس في الرجوع إليها<sup>3</sup>.

وقد انبرى مجموعة أخرى من الفقهاء والأصوليين والمتكلمين للدفاع عن القرآن الكريم من هجمات أصحاب الأهواء والبدع والضلالات عبر مختلف العصور، وممن له ذكر كبير في هذا الشأن الإمام الباقلاني الذي ألف كتاب التمهيد يدافع عن القرآن الكريم وعقيدة السلف باستعمال أسلوب علم الكلام فطرح أرضاً جملة الأقوال المزيفة التي انتحلها الخصوم والمتقولون<sup>4</sup>.

كما كتب أيضاً "الانتصار لصحة نقل القرآن والرد على من نحله الفساد بزيادة أو نقصان" يبطل فيه أقوال أهل الضلال في أن القرآن محرف<sup>5</sup>.

وكانت بلاغة القرآن التي تحدى بها العرب وجهاً من أكثر وجوه الإعجاز في القرآن الكريم فقد تحدى العرب بأن يأتوا بمثله أو بسورة مثله، قال الله تعالى: "قل لئن اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً"<sup>6</sup> ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور من مثل ما في القرآن الكريم فقال المولى عز وجل: "أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين"<sup>7</sup>، ثم خفف القرآن لغة التحدي لهم إمعاناً في الإعجاز فقال عز وجل: "فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين"<sup>8</sup>

واعتد الأدباء على مر العصور بالقرآن الكريم وانبهروا بأسلوبه وبنائه اللغوي المعجز، ووزنه وإيقاعه وبلاغته واحتوائه على كل أغراض الأدب واللغة التي شاع استعمالها من طرف البلغاء

1- محمود شلتوت، المرجع نفسه، ص 27.

2- سورة الأعراف الآية 158.

3- من أهم الكتابات التي تناولت هذا الموضوع، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (المتوفى: 671 هـ)، والاتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (المتوفى: 911 هـ)، وأحكام القرآن للجصاص (المتوفى: 370 هـ).

4- فتحي أحمد عامر، بلاغة القرآن الكريم بين الفن والتاريخ، منشأة المعارف بالسكندرية، مصر، 1983، ص 112.

5- فتحي أحمد عامر، المرجع السابق، ص 112.

6- سورة الإسراء، الآية 88.

7- سورة هود الآية 13

8- سورة البقرة الآية 23

كالتشبيه والاستعارة والإيجاز وغيرها<sup>1</sup>، فاتخذوا منه أسلوباً في والمحاجة ومن أجود ما ألف في علم البلاغة كتاب بن الزملاكي 651هـ التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن<sup>2</sup>.

#### إعجاز القرآن الكريم:

الإعجاز في اللغة معناه نسبة العجز إلى الغير وإثباته له<sup>3</sup> وهي خاصية من أكبر خصائص القرآن الكريم، وقد كتب فيها العلماء والمفسرون عشرات الكتب والأسفار والمقالات. ولا يزال القرآن الكريم يمثل معجزة النبي محمد صلى الله عليه وسلم للعالمين<sup>4</sup> كما ذكرنا آنفاً، وما تزال آياته تتحدى البشرية في كل زمان ومكان، تحد لغوي وعلمي وأدبي وتحد في ما يعرض من قضايا اجتماعية وأحكام شرعية، ومن أبرز وجوه الإعجاز في كتاب الله ورود سياقات تعبيرية كثيرة في القرآن الكريم تشير أحياناً مباشرة، وتومئ أحياناً أخرى بطريقة غير مباشرة لقضايا علمية دقيقة حيرت العلماء وأهل الاختصاص، خاصة في زمن التطور التكنولوجي الذي شهدته البشرية منذ القرن الثامن عشر الميلادي، ومن أبرز هذه القضايا نذكر مثلاً تعاقب الليل والنهار حركة الشمس والقمر<sup>5</sup>، الأمواج البحرية السطحية والباطنية، الجاذبية الأرضية والكونية، أطوار الجنين في بطن أمه، الجبال والظواهر الطبيعية المكونة لها، الغلاف الجوي نزول الأمطار وحدوث الصواعق والعواصف وغيرها..

#### القرآن والإعجاز الكوني:

أجاب القرآن الكريم بما لا يترك مجالاً للشك عن جملة من القضايا العالقة بفكر الإنسان والتي حيرته مع مرور الزمن والتي منها بداية الخلق، ونشأة الكون ووحدته<sup>6</sup>، ومصير البشرية بعد انتهاء الحياة على سطح كوكب الأرض، وقد خاطب القرآن الناس جميعاً في تحد فاضح لعقولهم القاصرة ومنهم عقولهم إلى ضرورة التحرر من زيف القيود والمسارات التي رسمها الأولون عن الكون والحياة والخلق والخالق عز وجل، فقال الله مخاطباً قيم المنطق التي ركبت في العقل البشري: "وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق"، ويقول أيضاً: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا"، فالكون بانتظامه وتناسقه ودوام جريانه في مسارات محددة يؤكد على وجود إرادة واحدة قادرة عالمة إيجابية.

#### القرآن منظومة أطلاق متكاملة:

احتوى القرآن الكريم على جملة كبيرة من القيم الأخلاقية والفكرية والدينية التي تترابط مع بعضها البعض لتشكل نموذجاً مجتمعياً فريداً ومتميزاً، نواته فرد مسلم إيجابي في مساراته وعلاقاته

1- عبد الفتاح طيارة، المرجع السابق، ص32..

2- فتحي أحمد عامر، ص262.

3- عبد الفتاح طيارة، المرجع السابق، ص32.

4- سالم المقصودي، من أجل نظرية إسلامية معاصرة في الفكر والسياسة، دار الانتشار العربي، 2009، ص21.

5- عبد الفتاح طيارة، المرجع السابق، ص53.

6- عبد الفتاح طيارة، المرجع السابق، ص51.

بغيره من الناس، وقد استطاعت المنظومة القيمية الإسلامية التي ساقها القرآن الكريم ودعا أتباعه إلى اعتناقها أن تحقق ما عجزت عنه التجارب البشرية السابقة سواء في الحضارات البدائية أو الحضارات المتعاقبة في ظل الديانات السماوية المنقرضة، أو في ظل اجتهادات العقل البشري الذي سعى دوماً إلى تجسيد صورة المدينة الفاضلة، التي تتحقق فيها السعادة الإنسانية وتهدأ نفوس الناس وتطمئن لوجود ضمانات خارقة تحول بينها وبين الزيف والطيش والهمجية واللاعقل. وكل ذلك مرده إلى أن القرآن الكريم منزل من عند الله العلي العظيم خالق كل شيء والعالم به وباحتياجاته، كما أن هذا القرآن سالم من كل ما يعترى عقول البشر من ضعف وقصر وتناقض وخطأ<sup>1</sup>.

وقد أشار بعض المفسرين إلى بعض صور الإعجاز التي وردت في القرآن الكريم تصور بلاغة فريدة وإيجاز مفحم قيمة الأخلاق الفاضلة والدعوة للاستمسك بها ونبذ أعراف الجاهلية، كقوله تعالى: "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين"<sup>2</sup>

وقد عجز المستشرقون والمتقولون على مر العصور في إثبات شيء يلجون من خلاله للطعن في القرآن الكريم، خاصة في الآيات المتشابهات وآيات الحدود والأحكام والحروف الابتدائية لبعض السور، حيث شكلت هاته الأخيرة مادة دسمة لبعض المستشرقين يبحثون في كيفية إضعاف القرآن الكريم من خلال ومن خلال القول بأنها اختراع النبي محمد صلى الله عليه وسلم<sup>3</sup>.

## 2. السنة النبوية

تعني كلمة "السنة" في اللغة العربية: السيرة، والطريق البين والسبيل الواضح، وقد وردت هذه العبارة في القرآن الكريم بمعنى الطريقة المتبعة، قال الله تعالى: "سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا"<sup>4</sup>، وقال أيضاً: "قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُهُ الْأَوَّلِينَ"<sup>5</sup>، وتطلق كلمة السنة على الطريقة المحمودة المستقيمة، كما تدلق أيضاً على الطريق المذموم الذي يرسمه أصحاب الأهواء وأهل الزيف، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء"<sup>6</sup>.

1- سورة الأعراف، الآية 199

2- عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص 51.

3- محمد الغزالي، مع الله، المرجع السابق، ص 100.

4- سورة الإسراء الآية 77.

5- سورة الأنفال، الآية 38.

6- أخرجه مسلم في صحيحه.

وتعد السنة النبوية المصدر الثاني للفكر الإسلامي، وتتضمن أحاديث<sup>1</sup> وأقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم، طيلة فترة حياته عليه السلام، وقد اعتنى المسلمون بجمعها وتصنيفها وتنقيتها من الأحاديث التي وضعها أصحاب الفرق والأهواء، ومن الذين ساهموا بقسط كبير في جمع حديث النبي عليه السلام: البخاري ومسلم وابن ماجه والنسائي والدارمي وغيرهم.

وتمثل السنة النبوية أصلاً من أصول أدلة الأحكام الشرعية، وتعني لغة "الطريقة"<sup>2</sup>، ومنها قول النبي: "من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء..."<sup>3</sup>.

وتضم السنة العبادات المنقولة عن النبي عليه السلام والمندوب من اعماله واقواله وتقاريره صلى الله عليه وسلم.

والسنة الصحيحة دليل شرعي، ومصدر من مصادر التشريع الإسلامي<sup>4</sup>، تؤخذ منها الأحكام الشرعية، وأما أفعال الرسول عليه السلام التي لم يأمر المسلمين بها، فان بعضها يكون خاصاً به مثل وجوب قيام الليل والصيام، وتعد دليلاً للاستئناس لاكتمال درجة التعبد التي يقتضي أثرها المسلمون، وإدراك مراتب الصلاح والقرب من الله، ولا يلزم بها عامة المسلمين مثلما يقول جمهور الفقهاء.

وقد أجمع المسلمون على أن الحديث النبوي إذا ثبت وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم، كان حجة في الدين ووجب اتباعه والرجوع إليه<sup>5</sup>، قال تعالى: "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"<sup>6</sup>.

وللحديث النبوي مكانة كبيرة في فهم معاني القرآن الكريم واستكمال جوانب الحياة الشرعية الإسلامية ورسم الحدود والتكاليف الشرعية، فقد اشتمل القرآن الكريم على نحو 6000 آية منها 200 آية في الأحكام بينما اشتمل الحديث النبوي على نحو 4000 حديث صحيح في الأحكام الشرعية. فقد أوجب الله في كتابه العزيز الطهارة لكنه عز وجل لم يفصلها فجاءت السنة النبوية وفصلت وشرحت شروطها وواجباتها وأركانها، ونفس الشيء عن الصلاة والصوم والحج والزكاة، ترك القرآن الكريم المجال للسنة النبوية كي تفصل في هذه العبادات وفي شروطها وأركانها ومبطلتها<sup>7</sup>.

1- عبد الفتاح كجارة، المرجع السابق، ص 456.

2- احمد عمران، القراءة المعاصرة للقران الكريم في الميزان، دارالنفائس بيروت لبنان، ط1، 01، 1995، ص 187.

3- حديث صحيح، رواه مسلم

4- سيد سابق، دعوة الاسلام، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، دت، ص 257.

5- عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص 456.

6- سورة الحشر، الآية 07.

7- عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص 457.

ويشكك بعض المستشرقين في حجية السنة النبوية بسبب اختلاف الاحاديث ووجود الضعيف والموضوع من ضمنها ممن أرخ له المحققون والرواة، ويرى البعض أن عزوف النبي صلى الله عليه وسلم، عن كتابة السنة لدليل على عدم حجيتها فقد نهى الرسول عن كتابة الحديث وأمر بكتابة القرآن الكريم<sup>1</sup>،

ويبرر هؤلاء مزاعمهم بوجود أحاديث كثيرة دخلت على السنة النبوية والفها أصحاب المطامع والأهواء خاصة بعد اختلاف المسلمين بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وظهور فئة الوضاعين الذين كتبوا عشرات الأحاديث للانتصار لمعاوية بن أبي سفيان والتنويه بأرض الشام<sup>2</sup>. وينقسم الحديث إلى أقسام ضبطها العلماء والمحققون ليفرقوا بين الأحاديث الصحيحة والأحاديث الموضوعية، التي دأب أهل الأهواء والباطل على وضعها للانتصار لفرقهم الضالة، فمن حيث طرق الإسناد<sup>3</sup> هناك:

**الحديث المتواتر:** هو الحديث الذي رواه بلفظه جمع عن جمع لا يهتم تواطؤهم على الكذب مثل حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" والمتواتر هو أعلى درجات الحديث صحة وثبوتاً وهو **الحديث** الذي رواه جماعة يستحيل في العادة أن يتواطئوا على الكذب، عن مثلهم من أول الإسناد إلى آخره.

وهو نوعين :

تواتر في اللفظ وهو اتفاق الرواة على لفظ الحديث ومعناه.

تواتر في المعنوى وهو ما اختلف الرواة في لفظه، لكن معناه واحد.

**الحديث المشهور:** هو الحديث الذي ابتداءً بأحد وانتهى بجمع متواتر

**الحديث العزيز:** هو الحديث الذي رواه اثنان عن اثنين عن اثنين إلى أن يصل إلى منتهى **السند**، وسمي الحديث عزيزاً لأنه قوي برواية الثاني، وكلما كثر المخبرون ازداد الحديث أو الخبر قوة،

**الحديث الآحاد:** الحديث الآحاد في مصطلحات جماعة علم الحديث، هو الحديث الذي يُعرف بأنه: "ما لم توجد فيه شروط المتواتر سواء أكان الراوي واحداً أو أكثر"، وعلى مذهب الجمهور فإنهم يقولون بظنّية خبر الآحاد، خاصة في قضايا الأحكام والعقائد. والقول إذاً في أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع يلزم العمل بها ويفيد الظن ولا يفيد العلم، وأن وجوب العمل به عرفناه بالشرع لا بالعقل"

1- احمد عمران، القراءة المعاصرة للقران الكريم في الميزان، المرجع السابق، ص188.

2- احمد عمران، المرجع نفسه، ص192.

3- الإسناد لغة بمعنى إمالة الشيء إلى الشيء حتى يعتمد عليه، ويأتي أيضا بمعنى رفع القول إلى قائله ونسبته إليه، وإعانة الغير كالمريض يتمكينه من التوكؤ على المسند ونحوه. وأما اصطلاحاً فقد عرفه علماء الحديث بأنه الطريق الموصل إلى متن الحديث.

وقال السرخسي: "قال فقهاء الأمصار رحمهم الله: خبر الواحد العدل حجة للعمل به في أمر الدين ولا يثبت به علم اليقين.

وقال بعض أهل الحديث: يثبت بخبر الواحد علم اليقين، وذكر الإمام الشوكاني "الآحاد وهو خبر لا يفيد بنفسه العلم وهذا قول الجمهور" وخالف الظاهريون منهم ابن حزم<sup>1</sup> حيث ذكر أن خبر الواحد العدل عن مثله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجب العلم والعمل معا. وأما من حيث الصحة، فقد قسمه العلماء إلى:

الحديث الصحيح، الحديث الحسن، والحديث الضعيف<sup>2</sup>.

### 3. الإنتاج العلمي والثقافي الإسلامي

ويقصد به كل ما أضافه المفكرون المسلمون انطلاقاً من الدين الإسلامي وشريعته السمحاء سواء شرحاً أو تعليقا أو إضافة في جميع ضروب العلم والمعرفة، ويستثنى من ذلك كلام المستشرقين فلا يدخل في الفكر الإسلامي.

وتزخر مؤلفات كتب أهل السنة والجماعة بالثراء والغنى فاق أيا من الفرق الأخرى والثقافات المتنوعة والديانات المختلفة، لتنوعها وشموليتها مختلف جوانب الحياة الدنيوية والأخروية. وشملت هذه المؤلفات علوم التفسير وعلوم القرآن والفقه والعقائد وعلوم الحديث والتراجم والفلسفة والتاريخ والسير والمغازي والرقائق وكتب السياسة الشرعية، ولا يجد الدارس وسيلة للإحاطة بكل ما كتبه الفقهاء المسلمون في جميع المجالات وسوف نقتصر في هذه المطبوعة على ذكر بعض مجالات التصنيف مقتصرين على ذكر أمثلة عن كل صنف.

ففي مجال التفسير الذي يعتبر علماً أساسياً في الدين الإسلامي يبحث في دراسة معاني القرآن الكريم من حيث دلالتها وكشف المعاني المراد منها، برز في هذا المجال أبو جريير الطبري 310هـ، وابن فورك 406هـ والماوردي 450هـ والزمخشري 538هـ والقرطبي 671هـ وابن كثير 774هـ وغيرهم .

كما أبدع المسلمون في علوم القرآن وهو العلم الذي يدرس الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه سورته وآياته، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والتشابه، ومن العلماء البارزين في هذا المجال أبو بكر السيوطي بكتابه "الاتقان في علوم القرآن"، وأبو بكر الجصاص بكتابه "أحكام القرآن"

وفي مجال علم الحديث وهو العلم الذي يدرس ما ورد إلينا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير، لاقتفاء أثره وحسن اتباع سنته، تحقيقاً لحسن التعبد وتجسيدها بصورة المؤمن السليم العقيدة الحسن الفهم، ومن أهم المؤلفين في هذا العلم ولا ريب في أن مؤلفه يحتل

1- محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص353

2- للطالب مراجعة كتب أوصل الفقه وعلوم الحديث للاستزادة.

الريادة في كتب الحديث هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري 256 هـ، صاحب "صحيح البخاري"، ومسلم بن الحجاج النيسابوري 261 هـ صاحب "صحيح مسلم"، ومحمد بن جرير الطبري صاحب "تهذيب الآثار" وغيرهم..

ومن السنن ما وضعت لدراسة الصحابة وفضائلهم مثلما قام به أبو الحسن الدارقطني 385 هـ صاحب "فضائل الصحابة"، ومنها ما تناول دراسة صحة الأحاديث الواردة التي جمعها الحفاظ والرواة على مر العصور والرد عليها منها "شرح علل الترمذي" لابن رجب الحنبلي 795 هـ، و"علل الأخبار ومعرفة رواة الآثار" ليحيى بن عبد الله الشهري، كما تناول صنف آخر من صنوف علم الحديث شرح الأحاديث النبوية وبيان معانيها ومقاصدها وما يتعلق بها من الأحكام الشرعية، وتصديرها بأقوال العلماء منها "فتح الباري شرح صحيح البخاري" للحافظ ابن حجر العسقلاني، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد بن أبي بكر شهاب الدين 923 هـ.

كما تفنن العلماء المسلمون في علم جديد ودقيق لم يكن معروفا من قبل ألا وهو "علوم التراجم والرجال" وهو علم يتناول سير حياة الأعلام والنخب الدينية والفكرية والعلمية ممن تركوا آثارا وساهموا في فن من فنون الانتاج الفقهي والسياسي والديني الاسلامي عبر العصور المختلفة، ويطلق عليه أيضا علم الجرح والتعديل، ويشرح بالدليل الثابت ودون مداراة أي تجاوز أو تدليس أو كذب أو افتراء على نص من النصوص العلمية ومن أبرز التأليف في هذا المضمار، ابن الأثير 630 هـ صاحب كتاب "أسد الغابة في معرفة الصحابة"، وجلال الدين السيوطي 911 هـ بكتابه "أسماء المدلسين".

ولعل من أبرز العلوم وأجلها التي خدمت الحياة الاجتماعية والفكرية للمسلمين "علم أصول الفقه" وهو العلم الذي يبحث عن أدلة الفقه الإجمالية التي وضعها الفقهاء والأصوليون وكيفية نيل الاستفادة منها، كما بينه آخرون بأنه "مجموعة القواعد التي وضعها أصحاب المذاهب والاجتهاد والفتوى في استنباط الأحكام الشرعية"، وقد كثرت مؤلفات المسلمين في هذا العلم وتشعبت مجالات البحث بتشعب الأغراض الفقهية المطلوبة، ومن أبرزها كتاب "الرسالة"، للإمام الشافعي، و"الإحكام في أصول الأحكام" لابن حزم الأندلسي 456 هـ و"إعلام الموقعين عن رب العالمين"، لابن قيم الجوزية 751 هـ، و"رفع الملام عن الأئمة الأعلام" لابن تيمية 728 هـ.

وألف المسلمون منذ العصور المبكرة في السير والمغازي وهي تأليفتناولت دراسة انتشار الاسلام وغزوات النبي صلى الله عليه وسلم وكانت أرضية خصبة لنشأة علم التاريخ، منها سيرة ابن اسحاق وسيرة ابن هشام و"الدرر في اختصار المغازي والسير" لابن عبد البر 463 هـ، والرحيق المختوم، للمباركفوري وغيرها.

ويعد علم التاريخ من أبرز العلوم التي أبدع علماء الاسلام فيها، والتاريخ هو علم يدرس أحوال الناس والبشر عموما والطوائف والملل والنحل والعادات والتقاليد والتحولت السياسية وقيام الدول

وسقوط الحضارات وأعمال الأمم الماضية، وأغلب مؤرخي القرون الأولى كتبوا تاريخهم انطلاقاً من تاريخ الأنبياء والرسل، أو ما اصطلح عليه بدء الخليقة، ومن أبرز المؤلفات في هذا الباب نجد أبوحنيفة أحمد بن داود الدينوري 282 هـ، صاحب كتاب الاخبار الطوال، وابن الخطيب 776 هـ صاحب الإحاطة في أخبار غرناطة، وأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير 774 هـ صاحب البداية والنهاية، وابن الاثير 630 هـ، صاحب الكامل في التاريخ، وابن خلدون والذهبي وغيرهم.

## سادساً: المجددون في الفكر الإسلامي

حافظ الفكر الإسلامي على تواصله عبر السنوات الطويلة التي تفصل مبعث النبي محمد عليه السلام عن القرون اللاحقة، وقد اشتغل كثير من الباحثين في هذا الشأن وأطلقوا تسمية مجدد على العلماء الذين اقتفوا أثر النبي صلى الله عليه وسلم وقدموا مختلف التوجهات للشعوب والأمم التي عاشوا ضمنها وفق هديه وضمن مقاصد الدين، وقد أُلّف في هذا الموضوع الكثير من الفقهاء والعلماء والأصوليون مباحث وأسفاراً طرحوا من خلالها هذه القضية للنقاش، ومن أوائل الذين تحدثوا في المسألة ابن شهاب الزهري ت124 هـ حيث اعتبر الخليفة همر بن عبد العزيز مجدد القرن الاول الهجري، ونظم تاج الدين السبكي ت771 هـ قصيدة يتغنى من خلالها بالمجددين حتى زمانه، وكتب جلال الدين السيوطي ت852 هـ الذي "التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة"، وكتب أيضاً "تحفة المهتدين بأخبار المجددين".

وقد قمنا في هذه المطبوعة بطرح لأسماء الأعلام ضمّنا النخب العلمية والدينية والسياسية التي كان لها شأن بارز في تجديد الدين وبعث الشريعة على مرّ العصور، ممن بذلوا الوسع في تغيير أوضاع الناس المزرية، وإعادتهم إلى جادة الصواب سواء كانوا من الرعاة أو من الرعية، واعتماداً على التأليف التي اطلعنا عليها في هذا الموضوع، ويمكن ذكر هذه الشخصيات:

القرن الأول الهجري أجمع الباحثون في هذا الشأن أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز 99-101 هـ هو أول مجدد للإسلام، بما أحيانا من سنن وأبطل من بدع وأعاد الحقوق لأصحابها ورفع الظلم عن الناس وعن الرعية.

ومن الأئمة وأعلام الذين عاصروه نذكر الحسن البصري ابن شهاب الزهري محمد بن سيرين عكرمة وطاوس بن كيسان والشعبي وغيرهم.

القرن الثاني الهجري الفقيه المحدث أبو حنيفة النعمان 150 هـ

ومن الأئمة في هذا القرن الإمام الليث -الإمام مالك<sup>1</sup> معروف الكرخي، والإمام الشافعي ويحي بن معين وسزيد بن هارون ومعروف الكرخس وغيرهم.

#### القرن الثالث الهجري الفقيه المحدث أحمد بن حنبل (164-241هـ)

ومن الأعلام في زمانه الخوارزمي، الإمام البخاري، الكندي، الإمام مسلم، والنسائي وابن سريج وأبو جعفر الطحاوي وأبو بكر الرازي، ابن سريج، وأبو جرير الطبري صاحب التفسير وتاريخ الرسل والملوك.

#### القرن الرابع الهجري الإمام أبو الحسن الأشعري 324ت هـ

ومن أعلام زمانه أبو جعفر الطحاوي، الماتريدي، الفارابي، إخوان الصفا، النيسابوري، أبو حيان التوحيدي.

#### القرن الخامس الهجري شيخ الإسلام أبو حامد محمد الغزالي 450-505هـ<sup>2</sup>

ومن المعاصرين له الباقلاني، ابن سينا،<sup>3</sup> البيروني،<sup>4</sup> الماوردي، ابن حزم، وإمام الحرمين الجويني.

#### القرن السادس الهجري العز بن عبد السلام 577-660هـ

ومن المعاصرين له أبو بكر الطرطوشي، يوسف بن عبد المؤمن، ابن طفيل، السهروردي، الشاطبي، أبو الفرج الجوزي، والزمخشري، وفخر الدين الرازي، وابن الحاجب الفيلسوف أبو الوليد أحمد بن رشد.

#### القرن السابع الهجري ابن قيم الجوزية 691-751هـ

ومن المعاصرين له القرطبي، ابن الأثير، ابن الفارض، ابن عربي، ابن الحاجب، ابن البيطار، أبو الحسن الشاذلي، ابن أبي أصيبعة، ابن سبعين، جلال الدين الرومي، نصير الدين الطوسي، وابن عطاء الله السكندري، والشيخ بن تيمية، و أبو اسحاق الشاطبي.

#### القرن الثامن الهجري، العلامة والمؤرخ ابن خلدون 732-808هـ

عاصر العديد من الفقهاء والعلماء كابن منظور، والبليقي ومحمد بن يوسف السنوسي ومحمد الفاتح.

القرن التاسع الهجري برز فيه عدة علماء وزعماء ونخب ساهموا في بعث الدين والحياة في كثير من ربوع البلاد الاسلامية منهم الفقيه الأصولي ابن حجر العسقلاني والقلقشندي، ابن الوزير، والمقرئزي، والسيوطي وطاش كبري زادة.

#### القرن العاشر الهجري السلطان العثماني سليمان القانوني 900-974هـ

1- ينتسب المذهب المالكي إلى الإمام مالك بن انس رضي الله عنه الذي ولد سنة 93 للهجرة بالمدينة المنورة.

2- مجموعة من المؤلفين، نوايغ العرب، أبو حامد الغزالي دار العودة، بيروت 1975.

3- عبد الحلیم محمود، التفكير الفلسفي في الإسلام، المرجع السابق، ص 371.

4- عبد الحلیم محمود، المرجع نفسه، ص 227..

عاصره شمس الدين الرملي واحمد السرهندي واحمد المنصور الذهبي.  
القرن الحادي عشر الهجري برز فيه كذلك زعماء ومفكرون كثر منهم ابراهيم الكوراني وعبد الباقي الزرقاني وولي الله الدهلوي ومحمد بن اسماعيل الصنعاني اليمني.  
وكان القرن الثاني عشر الهجري على موعد مع عدة حركات فكرية ودينية منها حركة محمد بن عبد الوهاب 1115-1206هـ مؤسس الحركة الوهابية في نجد والجزيرة العربية، والحركة السنوسية في شمال افريقيا والمهدوية في السودان وغيرها، ومن ابرز الاعلام الذين كان لهم بصمات واضحة في الحياة السياسية للمسلمين في هذه الفترة مرتضى الزبيدي ومحمد الصالح الفلاني التونسي والشوكاني صاحب التفسير ونادر خان شاه في الهند، وغيرهم.  
ومنذ الحملة الفرنسية على مصر بدأ المشرق يتأثر بعوامل الفكر الغربي وزاد تشتته وتباينت نظرتة لشؤون الدين والاصلاح بين متطلبات تجديد الفقه والفكر الإسلامي ومتطلبات الحداثة الغربية التي هزمت المسلمين وفتحت أبواب القرن على تحديات جديدة فبرز ثلة من العلماء والمجددون تعاطوا بكل ما يملكون من قوة وحجج لمجابهة الغرب والحفاظ على مقومات الأمة الاسلامية ومن هؤلاء الشيخ جمال الدين الأفغاني 1838 – 1897م الذي عاصره من الاعلام محمد بن علي الشوكاني، الشيخ حسن العطار، أحمد خان، ومحمد عبده وغيرهم.

### سابعاً: الدولة العثمانية وقضايا التجديد والإصلاح

كانت الدولة العثمانية تحكم أراضي عربية كثيرة باسم خلافة المسلمين وأول من تسمى بالخلافة من الأتراك السلطان العثماني "مراد الأول" (1360-1388م) لكن اللقب لم يثبت له بصورة دائمة وقطعية، كما نحا السلطان "محمد الأول" (1413-1429م) نحوه، حيث وصف عاصمته بدار الخلافة الإسلامية<sup>1</sup> دون أن يغير في مسار السلطة شيئاً.  
ويرجح جل المؤرخين أن السلطان العثماني "سليم الأول" هو أول من لقب نفسه خليفة في أول صلاة جمعة بحلب يوم 1516/08/29، ولقب فيما بعد بـ"خادم الحرمين الشريفين"<sup>2</sup>، ويذكر المؤرخ المعاصر "إسماعيل ياغي" أن "ابن إياس" المؤرخ المصري المعاصر لفتح القاهرة على يد سليم الأول، لم يذكر هذه المسألة ومر عليها مرور الكرام<sup>3</sup> ويؤيد المستشرق الألماني "كارل بروكلمان"<sup>1</sup> هذا القول معتبراً

1- إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 2003، ص 61.

2- يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، منشورات مؤسسة فيصل للتموين، اسطنبول، تركيا 1988.

3- إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 61.

لكن المؤرخين "أحمد آق كندوز" و"سعيد أوزوتوك" يؤكدان على أن السلطان سليم استلم مفاتيح الكعبة من شريف مكة "أبو البركات" في جامع أيا صوفيا واستلم من الخليفة المتوكل رمزية الخلافة، وقد ذكرا أن المؤرخ المصري المعاصر "ابن عياض" – هو نفسه

أن ما قام به السلطان سليم الأول من نقل شخص الخليفة "المتوكل على الله الثالث" إلى القسطنطينية واستلامه مفاتيح الكعبة، من باب الأسطورة لا غير<sup>2</sup>.

غير أن الحكم العثماني بعدما شمل الجزائر وتونس وليبيا منذ القرن السادس عشر، صار يجسد طموح السلاطين الكبار كسليم الأول وسليمان القانوني وغيرهما، ويضفي على الدولة الإمبراطورية صورة الدولة الإسلامية الراعية لشؤون المسلمين حيثما كانوا، ولم يثني البعد الجغرافي من عزم ورغبة السلاطين في تجسيد هذا الطموح، لأن السلاطين العثمانيين كانوا يعتقدون أن سلطة الخلافة تطالها عن بعد باسم الإسلام خاصة، ويكفي أن هذه البلاد متصلة برا بالدولة العثمانية<sup>3</sup>.

وقد أثارت مسألة حمل الدولة العثمانية لقب الخلافة جدلا تاريخيا وسياسيا وفقهيا كبيرا بين العلماء والمؤرخين والفقهاء حول جدوى هذا اللقب ومشروعيته، وتعد من المسائل الكبرى التي أسالت الكثير من الحبر ودار حولها جدل كبير بين فقهاء المسلمين وعلمائهم، تباينت آراؤهم بتباين النحل والملل التي ينتمون إليها، كما تقاطعت حولها رؤى الكثير من العلماء والفقهاء والباحثين، قديما وحديثا.

لقد كانت الخلافة العثمانية التي حكمت بلاد المسلمين زهاء 600 سنة ضحية لمؤامرات خارجية وداخلية عديدة، ولا يزال الحديث حولها والنقاش يدور في حلقات تاريخها الذي صنعتها سلبا وإيجابا مستمرا إلى يومنا الحاضر، واستمرار النقاش في هذا الأمر دليل على أهميته وإدراك مكانة الخلافة كموقع سياسي وفكري إسلامي عالمي.

ولا يزال الطربق أمام المسلمين طويلا وغير ممهّد لاستنطاق حقائق التاريخ ونفض طبقة الغبار الذي صنعتته دوائر الخصوم لمعرفة الحقيقة وإدراك حجم المؤامرات والمكائد التي صنعها المؤرخون والمستشرقون في تاريخ المنطقة وأحالتها إلى جملة من التناقضات والصراعات والحروب الطاحنة التي أتت على الأخضر واليابس، وعطلت مشروع الانطلاق رغم مضي 200 سنة كاملة على دعوات النهضة القومية العربية والبعث الإسلامي.

وقد شكل موضوع الخلافة العثمانية قضية هامة من أبرز قضايا الإصلاح السياسي خلال فترة القرن الثامن عشر والتاسع عشر، ففيما ذهب الوهابيون لإعلان العصيان ومحاربة الخلافة التركية

---

ابن إياس بناء على عنوان الكتاب - في كتابه "بدائع الزهور" الجزء الثالث ص 19 وما بعدها، يذكر هذه الحوادث المهمة، انظر: أحمد آق كندوز وسعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص 214.

1 - كارل بروكلمان (1868-1956) مستشرق ألماني مشهور اعتنى بدراسة الثقافات الشرقية من تاريخ ولغات وآداب ترك العديد من المؤلفات التي لا تزال مرجعا مهما لطلبة العلوم الإنسانية في مختلف أنحاء العالم وترجم بعضها إلى العربية، انظر ترجمته الوافية في عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1993 ص 98.

2 - كارل بروكلمان، الأتراك العثمانيون وحضارتهم، ط3، تر نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان 1961. ص 156.

3 - غلاب (عبد الكريم)، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر، ج 02، دار الغرب الإسلامي، 1996. ص 125.

الأعجمية، راح آخرون يدعونها للكف عن احتلال البلاد العربية ومنح الحقوق وعلان المساواة بين العناصر العربية والتركية في اراضي الدولة العثمانية، وحاول آخرون إنقاذ ما يمكن من بقايا الخلافة "الرجل المريض" التي عمل الغرب على اسقاطها بتفكيك اواصر الدول والشعوب التي تنضوي تحتها واحتلالها كما وقع للجزائر وتونس والمغرب ومصر وليبيا والشام والعراق<sup>1</sup>، وخير مثال على من تبنى هذا المنهج جمال الدين الافغاني في اطار الجامعة الاسلامية.

ويرى بعض المؤرخين أن النهضة العربية لم تبددوا بزيارة نابوليون لمصر بل ان هناك وقائع كثيرة تؤكد ان الارهاصات الاولى كانت في الدولة العثمانية، زمن السلطان احمد الثالث 1703-1730 والسلطان محمود الاول 1730-1754 واكتسبت زمن السلطان سليم الثالث 1789-1807 زخما كبيرا، بعدما تسلت أفكار الثورة الفرنسية<sup>2</sup>

ولما كانت الإمبراطورية العثمانية تقود العالم الإسلامي في الفترة الحديثة، فإن مظاهر الإصلاح تُلمس في مشاريعها ومخططاتها ومبادراتها أثناء صدامها مع العالم الأوربي، كما تُلمس تلك المظاهر في الولايات العربية التابعة لها، كما أن العالم الهندي شهد محاولات إصلاحية رائدة.

والمصلحون - عموماً - سواء كانوا من رجالات الحكم أو من المستنيرين المفكرين، كانوا يأملون في النهوض بالشرق ومواجهة التحديات الأوربية اقتصادياً وفكرياً، وكان لهم وعي بوضعية الشرق حيث شخّصوا أمراضه واقترحوا له العلاج المناسب تبعاً لكل حالة.

وظهر في العالم الإسلامي مُصلحون كثيرون نادواً بضرورة الإصلاح، وعملوا على تهيئة النفوس والعقول لمواجهة تحديات العصر الحديث، وقدموا جهوداً رائدة لإخراج الشرق من طور الانحطاط إلى مشارف المدنية الحديثة مع الحفاظ على المقومات الإسلامية.

انطلقت هذه التيارات داخل الإمبراطورية العثمانية وولاياتها، وقامت بالأساس على فكرة الجهاد ضد البيزنطيين. وظلت مصدر تهديد للغرب بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر. وفي القرن السادس عشر توسعت تلك التيارات لتشمل البلاد العربية مشرقاً ومغرباً. ولما كانت السلطة العثمانية تحمل راية الإسلام في وجه الغرب؛ كان لا بد أن تتوالى دعوات الإصلاح لمواكبة ما يجري في الغرب. وهكذا كانت بداية التحديث عسكرية على أيدي كثير من الخلفاء العثمانيين.

فقد اتجه سليم الثالث (1789 - 1807م) إلى تحديث الجيش، وفي سنة 1793م أصدر سلسلة أوامر عُرفت باسم (نظامي جديد) تتعلق بإدارة الضرائب والولايات، واهتم بإنشاء مدارس عسكرية وبحرية.

1- احمد السماوي، الاستبداد والحرية في فكر النهضة، نشر دار محمد علي الحامي، تونس، 1988، ص51.

2- احمد السماوي، المرجع نفسه، ص15.

وإلى جانب العناية بالجيش بادر محمود الثاني (1808 - 1839م) بإرسال بعثات إلى أوروبا لإعداد المُدرسين والضباط وعمل على توسيع المدارس التقنية العليا. وقد اعتبَر التعليم الركيزة الأساس في الإصلاح. فتعددت المدارس الحديثة على عهده، وتحققت الأزواجية في التعليم. وتم إنشاء مدرسة جديدة للعلوم الحربية، والمدرسة الشاهانية للطب ومدرسة للجراحة. وتابع السلطان عبد المجيد (1839 - 1861م) الإصلاح فأصدر التنظيمات الخيرية، واتخذ تحديث الإدارة هدفاً، وفرض سلطة المركز على الولايات وحاول تكوين مجتمع يتساوى فيه المسلمون وغيرهم داخل جميع المرافق الحيوية للدولة.

إن هذه الإصلاحات شملت جوانب الحياة واستهدفت تطويرها وتحديثها، وإن كانت الإمبراطورية أصبحت تعاني من التراجع تحت الضغوط الأوروبية، ولا يمكن التعرف على محاولات الإصلاح إلا باستحضار الظروف العامة التي مرت منها تركيا، وبالنظر إلى تكوينها العرقي، والمذهبي، وموقعها في الصراع الدولي آنذاك.

ودعا مدحت باشا (1822 - 1883م) إلى اختيار ما ينسجم مع الشرق من المدنية الحديثة، في كل ما يتعلق بتنظيم الحكم على أساس الشورى، وتنظيم الحياة الدينية والعلمية والاقتصادية والإدارية.

وقد شمل التجديد والإصلاح عدة مجالات منها الدينية والسياسية والجوانب الاجتماعية والجوانب الاقتصادية والثقافية.

وفي النهاية يمكن القول أن الحركات الإصلاحية عبّرت عن يقظة العالم الإسلامي والدخول إلى معترك العصر الحديث، وقد ارتبط بالضغط الإمبريالي وبالواقع المتردي للشرق، فسعى المصلحون إلى نهضة شاملة وتنظيم البلاد اقتصادياً وسياسياً على الطراز الأوربي أن بعض المصلحين انههروا بإنجازات الغرب، وأسهموا في تغلغل الأفكار الغربية في المجتمع الشرقي، وحاولوا إضفاء العلى المفاهيم الغربية التي نبتت في ظروف مغايرة وعبرت عن فلسفة خاصة. ويلاحظ في الأخير أن موضوع الإصلاح تحكم في دراسة النزعات القومية والتناول الإيديولوجي ولم يحظ بعدُ بالدراسة الموضوعية.

وقد شكل موضوع الدولة الحديثة في فكر الحركة الإصلاحية احد اهم المواضيع البحثية التي اسالت حولها الكثير من الحبر، بين من يرى أن فكرة الدولة الحديثة بأركانها القائمة على المفاهيم الحداثية لم تكن موجودة في مخيلة حركات الإصلاح في البلاد الاسلامية خاصة المغرب العربي، فعشية تعرضه للاستعمار الغربي الحديث لم تجد النخب الدينية والإصلاحية مرجعية تستند إليها في صراعها مع الاحتلال الفرنسي بعدما فقدت المكونات الدينية تأثيرها في المجتمع بفقد مؤسسات الأوقاف

ومؤسسة جهاز الحكم الذي كان دوما حريصا على تنفيذ السياسة الدينية ليستمر في الحصول على شرعيته<sup>1</sup>، ففقدت المجموعة الدينية مرجعيتها رغم ما لعبته من أدوار في مقاومة الاستعمار الفرنسي<sup>2</sup>.

## ثامنا النهضة الأوروبية وتأثيراتها على الفكر الإسلامي

كان عصر النهضة الأوروبية عصر حركة ثقافية أثرت بعمق على الحياة الفكرية الأوروبية في الفترة الحديثة، حين بدأ الإشعاع الفكري في إيطاليا، وانتشر إلى بقية أوروبا من القرن السادس عشر، وشُعر بنفوذها في الفلسفة والأدب والفن والموسيقى والسياسة والعلوم والدين، وغير ذلك من جوانب التساؤلات الفكرية. علماء عصر النهضة استخدموا الأسلوب الإنساني في الدراسة، وبحثوا عن الواقعية والمشاعر الإنسانية في الفن

ويرى كثيرون أن الأفكار التي امتاز بها عصر النهضة كان لها أصول في فلورنسا في القرن الثالث عشر، مثل كتابات دانتي أليغييري وفرانشيسكو بتراركا وغيرهما .

وحاول بعض الكتاب أن يحدد بداية عصر النهضة بشكل دقيق حيث اقترح أحدهم أن نقطة البداية كانت في عام 1401 عندما تنافس العبقري لورنزو جبرتي مع خصمه فيليبو برونليسكي للفوز بعقد بناء الأبواب البرونزية لبيت المعمورية الخاص بكاتدرائية فلورنسا.

ومع ذلك لا يزال الجدل كبيرا حول أسباب بدأ عصر النهضة بشكل عام، ولماذا في إيطاليا تحديداً، حيث لعبت أسرة ميديتشي دورا رائدا وكانت من الأسر المهيمنة على مجتمع فلورنسا، واعتبر بعض علماء التاريخ بأن فلورنسا تعد مكان مولد عصر النهضة لانجابها رموزا عبقرية متعددة منها ليوناردو دافينشي، وبوتيتشيلي، ومايكلأنجلو، الذين ولدوا جميعهم في توسكانا المدينة الرمز في اقليم جي ومتوثب.

وبعد سقوط القسطنطينية سنة 1453 ايدانا بانتقال أوروبا من طور الى طور جديد، حيث حدثت هجرة عدد كبير من العلماء إلى إيطاليا خاصةً، حاملين معهم الكنوز الكبيرة من المخطوطات والتأليف الاغريقية في علم الكلام والفلسفة وادوات قديمة، وهناك تعاونوا على بعث الثقافة اللاتينية وتطويرها في قالب جديد كان نواة للنهضة الأوروبية، وتحولت نقمة سقوط القسطنطينية من وبال هزكيان أوروبا المسيحية إلى نعمة جليلة ومنحة جميلة من الأقدار.

ومن ابرز نتائج النهضة الأوروبية التي أثرت كثيرا في النخب الاسلامية المتأثرة بالفكر الاسلامي:

1- المنصف وناس، الدولة والمسألة الثقافية في المغرب العربي، سیراس للنشر، تونس، 1995، ص 125.

2- المنصف وناس، المرجع نفسه، ص 124.

## انحلال الإقطاع وزوال نفوذ الكنيسة.

كانت النهضة الأوروبية الحديثة تمثل المعول الأخير الذي دكّ بنيان الكنيسة في أوروبا، ويعد هذا الحدث بمثابة انتصار العقل البشري على الهمجية الدينية التي قادتها الكنيسة خلال القرون الوسطى

## الاكتشافات الجغرافية الكبرى واكتشاف الطرق التجارية العالمية

حيث قلبت موازين القوى الدولية، وانتقلت نقاط العبور العالمية والطرق البحرية والبرية من الشرق إلى الغرب، ولم يعد للبحر المتوسط مكانة تذكر كما كان من قبل تساعد الدول المسيطرة عليه على بسط نفوذها على العالم.

لقد فتحت الاكتشافات الجغرافية للانسان الحديث بابا جديدا ومفاجئا على العالم الذي حاولت الكنيسة الكاثوليكية والتعاليم الدينية أن توصله، لكن رياح التغيير الممزوجة بنسيم كنوز المايا والأزتک وتوابل الشرق وعطوره كانت أقوى من تعاليم الكنيسة التي ضربت بغرض الحثث.

وكان الانسان الأوروبي على موعد مع حقائق علمية جديدة يأتي على رأسها كروية كوكب الأرض الذي طالما حير شكله الأذهان والألباب، فعرف الناس هناك أن الذهب بصوب الغرب والعودة من الشرق ليس له سوى معنى واحد، هو كروية الأرض، وحركتها الدائمة وحركة الرياح والبحار والأمواج والتيارات البحرية وحركة الكواكب والأبراج والنجوم والأفلاك، حقائق صادمة كسرت جدار الكنيسة الحجري.

وبالرغم من الإضطهاد الديني الذي مارسته الكنيسة عشية بداية عصور النهضة والتنوير وإجبار العلماء على العدول على أفكارهم الجريئة فقد كانت هذه الأفكار ترسخ يوما بعد آخر. ويروى أن الفلكي الإيطالي غاليليو غاليلي الذي اعتمد على نظريات وأعمال الفلكيين المسلمين أمثال الحسن بن الهيثم تمكن من تطوير جهاز المنظار المقرب الذي مكنه بدوره من رؤية سطح القمر بكل وضوح ومراقبة انتقاله في شتى المراحل الفلكية التي يقطعها خلال دورانه حول كوكب الأرض، وأيقن بلا شك أن مجموعة الأجرام التي يعيش عليها الانسان سواء كوكب الأرض أو الشمس والقمر ما هي سوى كواكب كروية تدور في أفلاكها وفق

## نمو اللغات المحلية وظهور الروح القومية.

قيام الدول الأوروبية الحديثة كفرنسا ألمانيا إيطاليا.

إحياء الدراسات القديمة الإنمريكية واللاتينية مما فتحت معها نوافذ المعرفة للأوروبيين.

## تاسعا: زعماء الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر

### 1. - نماذج الإصلاحيين:

#### 1-1 جمال الدين الحسيني الأفغاني<sup>1</sup> 1838 - 1897

هو أحد الأعلام البارزين فيعصر النهضة العربية وأحد الدعاة للتجديد الإسلامي، عمل على إنهاض الشرق الإسلامي من غفوته، رفع شعار "الجامعة الإسلامية" ممثلة في مؤسسة الخلافة العثمانية، لاحتضان الشعوب الإسلامية تحت راية حكومة إسلامية واحدة. وقد اعتبر الثورة السياسية وسيلة لإصلاح الشعوب الإسلامية، فناهض الاحتلال الأجنبي، ودافع عن الحركات التحررية الوطنية، التي كان يعج بها العالم الإسلامي آنذاك. ودعا الأفغاني إلى إصلاح المسلمين دينيا واجتماعيا وسياسيا، ووضع أفكاره في جريدة العروة الوثقى لتنوير الرأي الإسلامي حتى يتفهم حقوقه وواجباته، وكان يحلم بحكم يأتّم بالقرآن الكريم أساسه العدل والشورى ومظاهره المجالس النيابية، شبيهة بما كانت تعرفه أمم الغرب. كان الأفغاني يتميز بخلال أهله لقيادة ركب الإصلاح والتنوير، فقد كان ذكيا قوي الفطرة متقد القريحة تعلم اللغة العربية، علوم الدين، والتاريخ، والمنطق، والفلسفة، والرياضيات، ويمكن اختصار مشروعه الإصلاحي في هدفين:

- بعث الشرق وتنقية عقيدته وتكوينه تربويا وعلميا.

- مناهضة الاحتلال الأجنبي.

قامت دعوة جمال الدين الأفغاني على الدعوة إلى القرآن الكريم وإلى التمسك به، وانتقاد انتشار فكرة فساد آخر الزمان لدى المسلمين. التي تقتل الهمم، والدعوة للاهتمام بالعلم والتعلم والتعليم وبالكتب والمكتبات، فضلا عن تهذيب العلوم الإسلامية وتجديد المكتبات، وتأليف المصنفات فيها بحيث تكون سهلة الفهم<sup>2</sup>.

ويحدد "الأفغاني" في رسالة "الردّ على الدهريين" شروط سعادة الأمم متمثلة في صفاء العقول من أدران الخرافة والوهم الذي يحول بين الحقيقة والواقع، ولا يحصل إلا بوجود فئة داخل الأمة تقوم بتعليم وتربية الأجيال وتنوير عقولها بالمعارف الحقّة.

إن الدعوة التي أطلقها "الأفغاني" لتحرير الفكر الإسلامي من الخرافة والأخذ بأسباب المدنية<sup>3</sup>، والتحضر و الهجوم النديشنة على الدهريين و دعاة المذهب الطبيعي، و المعركة التي خاضها ضد

1- احمد امين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، دت، ص 59.

2- محمد سليم العوا، المرجع السابق، ص 388.

3- محمد فريد وجدي، المرجع السابق، ص 97.

الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي جعلت منه مؤسس إصلاح و داعيا إلى التجديد و مبيّنا مواطناللداء و طالبا للدواء. وممهدا لتلاميذه لحمل راية الإصلاح والتجديد،وبان ذلك بوضوحفي فكر تلميذه "محمد عبده" وبعده عند "محمد رشيد رضا".

وقد اقتصرالمنهج في الإصلاح والدعوة إلى التجديد، لدى "الأفغاني" على ثلاثة محاور كبرى هي: مهاجمة المذهب الطبيعي، الذي ينكراتباعه الغيب والدين والآخرة. مقاومة الاستعمار الغربي خاصة البريطاني.

مكافحة الخرافات والأوهام، التي كان يبثها المرابطون والمشعوذون.

ومن أبرز أعماله إنشاء جريدة العروة الوثقى في باريس، التي صدر العدد الأول منها سنة 1884 بعيد احتلال مصر، حيث حمل الأفغاني في افتتاحيتها على بريطانيا ومشاريعها الاستعمارية في المشرق العربي،فضاقت به ضرعا بهذه الجريدة التي بلغ تأثيرها كل البلاد الإسلامية<sup>1</sup>، فعملت على التضيق عليها ومحاربتها، حتى توقفت عن الصدور بعد ثمانية عشر عدد<sup>2</sup>.

وقد ذاع صيت المجلة في العالم الإسلامي وأقبل الناس في مختلف الأقطار الإسلامية عليها بالقراءة والتدبر، لكن الحكومة البريطانية أقفلت الجريدة وطاردتها واضطهدت وغرمت كل من يخالف الحكومة بقراءتها ونشر افكارها.

تتلמד على يدي الأفغاني ثلة من العلماء والموظفين والأعيان، أشهرهم ذكرا محمد عبده<sup>3</sup>، حيث استيقظت مشاعر الكثير منهم وتنبت عقولهم إلى مكامن الداء، ووجد في مصر الكنانة ما لم يحظ به في الأستانة عاصمة الخلافة، من الخير والقابلية للتفاعل مع أفكاره الإصلاحية<sup>4</sup>، لكنه نفي سنة 1879، بتهمة التحريض على الفوضى والمعصية إلى الهند وهناك كتب رسالته في الرد على الدهريين<sup>5</sup>. كما كان يرى ألا تعارض بين حقائق العلم وكليات الدين الإسلامي

وافته المنية في 9 مارس 1897، فأمر بدفنه من غير رسميات في مقبرة المشايخ بالقرب من نشان طاش في تركيا...

1- فرضت بريطانيا في مصر والهند غرامة مالية على قراء العروة الوثقى، انظر جمال الدين...العروة الوثقى، المرجع السابق،

ص 321.

2- مجلة الثقافة العدد 38 سنة 1977.

3- احمد أمين، المرجع السابق، ص 68.

4- ابو الحسن علي الندوي، الصراع الفكري بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الاقطار الإسلامية، دار الهدى عين

مليلة، الجزائر، 2006، ص 86.

5- محمد عبده، الثائر جمال الدين الأفغاني ورسالة الرد على الدهريين، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة الجزائر، دت.

## 2-1 الإمام محمد عبده (1834 1905 م)<sup>1</sup>:

وُلد محمد عبده في قرية محلة نصر بمحافظة البحيرة بمصر سنة 1849م في أسرة محافظة تعزز بقيمتها ورجالها الذين وقفوا ضد الطغيان منذ عهد بعيدة، وكانت نشأته الأولى نشأة قوية اختلطت فيها معاني الرجولة والعزة وقوة الشكيمة بالعلم والأدب فكان لا يقبل ذلاً ولا يجاور طاغية، خاصة من أهل المال والثروة، وكان شيخه جمال الدين الأفغاني يمازحه فيقول: "قل لي بربك أي أبناء الملوك أنت؟"، ويقول عنه الخديوي عباس: "إنه يدخل عليّ كأنه فرعون"<sup>2</sup>.

وكان محمد عبده شاباً يافعا حينما بدأ يتردد على "الجامع الأحمدي" منذ عام ونصف تقريبا، وبدأ يصيبه الملل والامتعاض من المقررات الدراسية والنظم الدراسية، التي كانت تعتمد على المتون والشروح الخالية من العلوم، وتفتقد الوضوح والإقناع في العرض، فترك الدراسة واتجه إلى الزراعة<sup>3</sup>. ثم بعد حين من الزمن انتقل ليقوم عند أخواله، والتحق بالدراسة في الأزهر حيث كانت تتصف بالشدّة والإرهاق والكثافة، حيث تقتصر على علوم الدين ومحشوة بمظاهر التقليد والجمود<sup>4</sup> وحفظ المتون والقواعد والأشعار القديمة، لقد توقفت العلوم في عصره عند ظواهر الأشياء دون البحث والتمحيص، وكان الحفظ والنقل شعار تلك المرحلة، وبقي محمد عبده يدرس في الأزهر حتى نال شهادة العالمية سنة 1877م، ثم اتصل بالشيخ حسن الطويل الذي كانت له معرفة بالرياضيات والفلسفة والسياسة، فجلس عنده يدرس ويبحث في المنطق والفلسفة وعلوم القدماء من الرومان والاعريق والهند وفارس، ليوسع مداركه وينفتح على ثقافات الشعوب الأخرى.

وبعد نيّله شهادة العالمية لم يكتف بالتدريس في الأزهر، بل درّس في دار العلوم وفي مدرسة الألسن<sup>5</sup>، التي أسسها من قبل رفاة رافع الطهطاوي التنويري.

وكانت دروسه تشمل المنطق والفلسفة والتوحيد، والتاريخ، وكان يساهم بين الفينة والأخرى في الكتابة في عدد من الجرائد المصرية، منها جريدة الأهرام، اتخذ من منبرها ليدعو ويوجه القارئ إلى مكامن الضعف والداء في مصر..

اتخذ محمد عبده بمصر أسلوب مسالمة الخديوي بادئ الرأي، ليتمكن من تنفيذ برنامجه الإصلاحية فعُين قاضياً أهلياً في محكمة بنها، ثم الزقازيق، ثم عابدين، ثم عين مستشاراً في محكمة الاستئناف سنة 1895م.

1- مجموعة من المؤلفين، نوايغ العرب، الإمام محمد عبده، دار العودة، بيروت 1975.

2- محمد عمارة، المنهج الإصلاحي للإمام محمد عبده، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2005، ص13.

3- عثمان أمين، رائد الفكر المصري، الإمام محمد عبده، مكتبة الانجلومصرية، ط02، القاهرة، 1965، ص33.

4- احمد امين، المرجع السابق، ص 101.

5- احمد امين، المرجع السابق ص 252.

وعندما تُوفي الخديوي توفيق سنة 1892م تولى الخديوي عباس مكانه، وكان متحمساً في مناهضة الاحتلال، استطاع محمد عبده إقناعه بخطته الإصلاحية التي تقوم على إصلاح مؤسسة الأزهر والأوقاف والمحاكم الشرعية<sup>1</sup>، وفي عام 1899 صدر مرسوم ملكي وقعه الخديوي عباس حلمي بتعيين الشيخ محمد عبده مفتياً للديار المصرية، وكان تلك المرتبة بالنسبة إليه غاية ما كان يرقب، لكنها لم تجسد كل طموحاته في التغيير من أجل اللحاق بأم أوروبا الغربية..

وكان منصب الإفتاء يضاف لمن يشغل وظيفة مشيخة الجامع الأزهر في السابق وبهذا المرسوم استقل منصب الإفتاء عن منصب شيخية الجامع الأزهر، وصار الشيخ محمد عبده أول مفت مستقل لمصر معين من قبل الخديوي عباس حلمي، وظل الشيخ مفتياً للديار المصرية ست سنوات كاملة حتى وفاته عام 1905م<sup>2</sup>.

وقد تأثر كثيرا بأراء الأفغاني، ودعا إلى تحرير الفكر من قيود التقليد وتطهير العقيدة من البدع والضلالات الزائفة، التي توارثها المسلمون على مر العصور وأرجع أزمة المسلمين إلى الجهل بأصول العقيدة، واعتبر أن إصلاح أحوال المسلمين الداخلية هو الوسيلة الوحيدة للوقوف في وجه الاستعمار الغربي البغيض، وبدأ يستعمل مواقعه في اصلاح مؤسسات الدولة التعليمية والقضائية<sup>3</sup>. اعتبر أن إصلاح الأزهر يعد بمثابة إصلاح لأحوال المسلمين عامة، لما يملك من تأثير ونفوذ، في مواجهة التيارات الغربية، والدفاع عن ديار الإسلام.

## 2- نماذج التنويريين:

التنوير كما جاء تعريفه في كتاب ماركس هوركهايمر، "جدل التنوير وشذرات فلسفية"، هو حركة تحرير الإنسان من عقدة الخوف وجعله سيدا، على نفسه وآرائه ومعتقداته، وكان برنامج التنوير في اعتقاده يهدف الى فك السحر عن العالم<sup>4</sup>، وقد هبت رياح التنوير على العالم الاسلامي من أوروبا منذ القرن الثامن عشر، وكان من أبرز من تأثر بها:

### 1-2 رفاعة الطهطاوي (1801 - 1873م)

ولد رفاعة رافع الطهطاوي في سنة 1801م في محافظة سوهاج بصعيد مصر، ونسب إلى قريته، وقد نشأ في أسرة كريمة الأصل شريفة النسب، وفي القرية درس في الكتاب علوم الشرع والحساب الأولية فحفظ القرآن الكريم، ثم رجع إلى موطنه طهطا بعد أن توفي والده. ووجد من أسرة

1- احمد امين، المرجع السابق ص 229.

2- احمد امين، المرجع نفسه، ص 316.

3- احمد امين، المرجع نفسه، ص 280.

4- ماركس هوركهايمر، جدل التنوير وشذرات فلسفية، ترجمة جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2006.

أخواله اهتماما كبيرا حيث كانت زاخرة بالشيوخ والعلماء فحفظ على أيديهم المتون التي كانت متداولة في هذا العصر، وقرأ عليهم شيئا من الفقه والنحو.

وفي السادسة عشرة من عمره رحل للقاهرة للدراسة بالأزهر، وبعدها بخمس سنوات تولى التدريس فيه وتوثقت صلته بمشيعته، وظلّ رفاة يدرّس بالأزهر لمدة عامين، ثم قضى بعدهما عامين إماماً وواعظاً في الجيش الذي أسّسه محمد علي، وفي سنة 1826 ارسل في سفر إلى فرنسا ضمن بعثة أرسلها محمد عليّ على متن السفينة الحربية الفرنسية "لاترويت" لدراسة العلوم الحديثة .. وبعد سنوات خمسٍ حافلة، أدى رفاة امتحان الترجمة، وقدم مخطوطة كتابه الذي نال بعد ذلك شهرة واسعة: تَخْلِيصُ الْإِبْرِيْزِ فِي تَلْخِيصِ بَارِيْزِ.

وفي سنة 1832م عاد الطهطاوي إلى مصر من بعثته، وفي سنة 1833 انتقل رفاة الطهطاوي من مدرسة الطب إلى مدرسة الطوبجية (المدفعية) بمنطقة (طره) إحدى ضواحي القاهرة كي يعمل مترجماً للعلوم الهندسية والفنون العسكرية.

ويعتبر الطهطاوي أول منسئ لصحيفة "الأخبار" ثم تغيرت إلى "الوقائع المصرية" التي صدر عددها الأول في سنة 3 ديسمبر 1828م. وظل جهد رفاة يتنامى؛ ترجمةً، وتخطيطاً، وإشرافاً على التعليم والصحافة. فأنشأ أقساماً متخصصة لترجمة مواد الرياضيات والعلوم الطبيعية، والعلوم الإنسانية، وأنشأ المدرسة الوطنية المصرية للمحاسبة تمهيدا لدراسة الاقتصاد، ومدرسة الإدارة لدراسة العلوم السياسية.

وكانت ضمن أعماله:

استصدار قرار تدريس العلوم والمعارف باللغة العربية.

إصدار جريدة الوقائع المصرية باللغة العربية بدلاً من اللغة التركية.

ترجمة الدستور الفرنسي.

كما ترجم ستة وعشرين كتابا، في قضايا التمدن وعلم الاجتماع والتربية، أشهرها تخليص الإبريز، ومن أبرز القضايا التي ضمنها في هذا التأليف المطالبة بالحرية الفردية وتجسيد الحياة النيابية الحقيقية حيث يصير الفرد حرا في اختيار من يحكمه، معتبرا هذا التحول حجرة الأساس في أي نهضة عصرية<sup>1</sup>.

قضى الطهطاوي بقية أيامه في تنشئة الشباب وكتابة البرامج النافعة والتأليف المفيدة، منها أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل، مباحج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية، والمرشد الأمين للبنات والبنين... وغيرها، إلى أن توفي سنة 1873.

1- معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت، 1993، ص72.

## 2-2 قاسم أمين 1863-1908

ولد قاسم أمين سنة 1863 بالأسكندرية لأب تركي وأم مصرية من صعيد مصر، كان والده "محمد بك أمين" واليا على كردستان قبل مجيئه إلى مصر واستقراره بها، وكان بعض أجداده تولى إدارة إقليم السليمانية وهي مدينة عراقية كردية في معظمها، من قبل السلطان العثماني، فلما نزحوا إلى مصر ظن بعض من كتبوا عنه أنه كردي الأصل وهو أمر شائع الخطأ.

تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة "رأس التين" التي كانت تضم أبناء الطبقة الأرستقراطية، ثم انتقل مع أسرته إلى القاهرة، وسكن في حي "الحلمية" الأرستقراطي. حصل على التجهيزية الثانوية العامة، ثم التحق بمدرسة الحقوق والإدارة، ومنها حصل على "الليسانس" سنة 1881م وكان أول خريجها.

عمل بعد تخرجه فترة قصيرة بالمحاماة، ثم سافر في بعثة دراسية إلى فرنسا، وهناك انتظم في جامعة مونبلييه، وبعد دراسة استمرت أربع سنوات أنهى دراسته القانونية بتفوق سنة 1885م، اتصل بجمال الدين الأفغاني، وكان "المترجم" الخاص بالإمام "محمد عبده" في باريس.

عاد قاسم أمين من فرنسا بعد أن قضى فيها أربعة سنوات يدرس بها واطلع على ما أنتجه المفكرون الفرنسيون وأعجب بالحرية السياسية التي ينعم بها الفرنسيون التي تسمح لكل كاتب أن يقول ما يشاء حيث يشاء، كان من المؤيدين للإمام محمد عبده في الإصلاح، ورأى أن الكثير من العادات الشائعة لم يكن أساسها الدين الإسلامي، وكتب في جريدة المؤيد تحت عناوين "أسباب ونتائج" أو "حكم ومواعظ".

وكان قاسم قاضيا وكاتبا وأديبا فذا ومصالحا اجتماعيا، اشتهر بأنه زعيم الحركة النسائية في مصر كما اشتهر بدفاعه عن الحرية الاجتماعية وبدعوته لتحقيق العدالة وإنشاء الجامعة المصرية وبدعايته للتربية في سبيل النهضة القومية، ودعا لتحرير اللغة العربية من التكلف والسجع فقد كان أديبا مغوارا ولكن أحدا لم يتفق معه على التحرر من حركات الإعراب فماتت دعوته في رحم الكلمة.

كان قاسم أمين يرى أن تربية النساء هي أساس كل شيء، وتؤدي لإقامة المجتمع المصري الصالح وتخرج أجيالا صالحا من البنين والبنات، فعمل على تحرير المرأة المسلمة، وذاعت شهرته وتلقى بالمقابل هجوما كبيرا فخلطت دعوته بالدعوة بالانحلال والسفور.

أصدر سنة 1898 كتاب "أسباب ونتائج وأخلاق ومواعظ وتبعه بكتاب "تحرير المرأة" الذي تحدث فيه عن الحجاب وتعدد الزوجات والطلاق، وأثبت أن العزلة بين المرأة والرجل لم تكن أساسا من أسس الشريعة، وأن لتعدد الزوجات والطلاق حدودا يجب أن يتقيد بها الرجل بها، ثم دعا لتحرير المرأة لتخرج للمجتمع وتلم بشؤون الحياة.

ووجهت له إحتجاجات ونقد من قاسم محمد طلعت بكتاب "فصل الخطاب في المرأة والحجاب" ومحمد فريد وجدي بكتاب "المرأة المسلمة"، لكن قاسم أمين لم يغير رؤيته فواصل كتاباته ورد عليهما بكتابه "المرأة الجديدة" عام 1901 ردا على ناقديه، فطالب بإقامة تشريع يكفل للمرأة حقوقها وبحقوق المرأة السياسية وأهداه لصديقه سعد زغلول.

ولم يغير من انتمائه كأحد رجال الإصلاح المنتمين لمدرسة الإمام محمد عبده ايمانه بالمثل الغربية والدعوة اليها، وكان يحب الفنون ويعتقد أن الحياة مبنية على التسامح والسلام بين عناصر ومكونات المجتمع الدينية والسياسية والعرقية.

توفي في منزله بالقاهرة 23 أبريل عام 1908م وهو في الخامسة والأربعين من عمره، وورثه عدد من الشعراء مثل حافظ إبراهيم وخليل مطران ونعاه الزعيم السياسي المصري سعد زغلول باشا.

وتعد قضية المرأة وتحريرها وسفورها من أعقد وأخطر القضايا التي دارت حولها نقاشات كثيرة بين النخب العربية والاسلامية، في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، ويرى المفكر الجزائري مالك بن نبي أن مشكلة المرأة ليست بمفردها بل هي مشكلة المرأة والرجل معا، فالمرأة والرجل هما قطلا الانسانية<sup>1</sup>.

## مباشرا معالم الفكر الإسلامي المعاصر

إن قراءة متأنية في كتابات أصحاب الفكر الإسلامي ومنظريه يمكن بصورة جلية إدراك جملة من المعالم التي تطبع الفكر الإسلامي منها:

### 1. الدعوة لإقامة الدين الإسلامي في حياة الناس:

يعتقد زعماء الفكر الاسلامي ومنظروه أن الاسلام يخالف غيره من الأديان السماوية اليت نسخها هذا الدين، ليس في صحة وسلامة معتقداته التي تتفق مع العقل البشري ومع ما توصلت إليه العلوم الكونية المعاصرة، بل إن شريعة الدين الاسلامي صالحة لاحتضان الانسان في كل زمان ومكان وتلبية حاجاته الفطرية ورغباته المختلفة، كما أن هذه الشريعة ضمت بين جنباتها الكثير من الأحكام المنظمة لشؤون الناس وعلاقتهم ببعضهم البعض في جميع المجالات، وفي شتى الأحوال ويبرر المسلمون هذا الكلام بكمية المواد التشريعية الكبيرة التي ضمتها النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة التي تحدثت على ضرورة اتباع المسلمين منهج الحياة الاسلامية وتحكيمه في مختلف شؤونهم الإجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية بل إن قضايا العلاقات الدولية والاقليمية في أوقات

1- مالك بن نبي، شروط النهضة ، ندوة مالك بن نبي، دار الفكر دمشق، 1985، ص114.

السلم والحرب وشؤون الأقليات قد أفرد لها الفقه الإسلامي بحوثا كثيرا ووضع مقاربات عديدة لا نلتسمها في غيرها من الشرائع.

## 2. بحث مفاهيم الشورى الإسلامية في تنظيم شؤون السياسة والحكم

يعتبر الكثير من المفكرين المسلمين المعاصرين أن الديمقراطية الحقيقية هي تجسيد لقيم الاسلام الروحية<sup>1</sup> ويرون أن الاسلام دين الحوار ودين التحاور بين الناس جميعا، ولا حاجة لتعداد الكم الكبير من من العبارات الدالة على الحوار في القرآن الكريم، الذي هو توجيه مباشر ومخاطبة بين الله عزوجل خالق الناس جميعا وبين الانسان من جهة وبين الانسان والإنسان<sup>2</sup> من جهة ثانية.

3. بناء مشروع ثقافي للأمة يصون أخلاقها ومبادئها من الذوبان في الحضارة المادية الغربية<sup>3</sup>.

4. مقاومة المشروع الصهيوني الاستيطاني في أرض المشرق وخاصة فلسطين التي تعتبر في منظر الفكر الاسلامي جزء غالبا من بلاد الإسلام لا ينبغي أبدا التنازل عليها مهما كلف الامر لان فيها مقدسات المسلمين وأولى القبلتين وثالث الحرمين.

5. تحقيق الوحدة بين المسلمين في إطار اتحاد الدول العربية والإسلامية.

6. تحقيق الريادة في مختلف مجالات الحياة السياسية والاستراتيجية لتحقيق القدرة على مواجهة أمم الغرب للحد من تكاليفها على شعوب الشرق.

7. تحقيق كرامة الإنسان وتجسيد المساواة والعدالة بين الناس، مهما اختلفت ألوانهم وديانتهم وأجناسهم، تجسيدا لقوله تعالى "ولقد كرّمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا"<sup>4</sup>.

## أحد عشر تحديات الفكر الإسلامي المعاصر

1. القومية العربية والقوميات الأخرى.

رغم مرور أزيد من 150 سنة على تبلور نظريات الفكر القومي في البلاد العربية وفشلها في صناعة الواقع السياسي الذي كانت تترصد له، لا زالت تعد عقبة في وجه الفكر الاسلامي المعاصر وتحديا يتلبسه كثير من الضعفاء.

1- حسن صعب، الاسلام وتحديات العصر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1981. ص123.

2- حسن صعب، المرجع نفسه، ص233.

3- فؤاد محسن الراوي، المرجع السابق، ص65.

4- سورة الإسراء الآية 70.

والقومية العربية دعوة سياسية حملت مجموعة من الأفكار السياسية في مقدمتها وحدة الشعب العربي الذي تجمعه اللغة والثقافة والتاريخ<sup>1</sup> والجغرافيا والمصالح المصالح، ضمن دولة عربية واحدة تجمع العرب ضمن حدودها اللغوية من المحيط إلى الخليج.

وإذا كانت نشأة القومية في الغرب ارتبطت بظهور الطبقة الوسطى في مرحلة ما بعد الثورة الصناعية والنهضة العلمية الكبيرة التي أفرزتها، فإن الفكرة القومية في البلاد العربية ارتبطت بعناصر خارجية وكانت عبارة عن ردود أفعال وأصداء للصراع العالمي آنذاك<sup>2</sup>.

وكانت الإزهاصات الأولى للقومية العربية في بلاد الشام، بعد حملة محمد علي باشا والتدخل الأوروبي الذي تبع ذلك، وكانت مطالب القوميين العرب آنذاك محدودة جدا اقتصرت في المطالبة بالإصلاح ضمن التبعية للدولة العثمانية، وتمكين الساكنة من استخدام أوسع للغة العربية في التعليم والإدارات المحلية.

استعمل دعاة الحركات القومية آنذاك الجمعيات والنوادي للتعبير عن طموحاتهم مثل جمعية العربية الفتاة، والجمعية العلمية السورية، والمنتدى الأدبي، والجمعية القحطانية، وجمعية العهد، وغيرها.

تزعم حركة القومية العربية مفكرون بارزون من أمثال قسطنطين زريق وساطع الحصري وزكي الأرسوزي وعبد الرحمن عزام ومحمد عزة دروزة.

وقد كان لبعض هؤلاء كتابات عديدة للمساهمة في التعريف بالفكر القومي الذي تبناه منهم قسطنطين زريق الذي طرح جملة من الأفكار والعقائد السياسية الجديدة للنقاش من خلال كتابه "في معركة الحضارة"، منها مفهوم الحضارة الحديث القائم على بعد الحداثة، متسائلا في الآن نفسه عن الحضارات المختلفة القائمة هل هي تمثل وجوها متعددة لحضارات بشرية أم هي حضارة إنسانية واحدة<sup>3</sup>.

وكان وراء نشأة القومية العربية مسيحيون قالوا أن الدولة العثمانية هرمت وأكلها السوس، وأن الخلافة يجب أن تكون عربية وليس أعجمية<sup>4</sup>.

وتجلت القومية العربية في أوجها بعد اندلاع الثورة العربية الكبرى التي قادها الشريف حسين من مكة ضد السلطنة العثمانية، التي باشرت سياسة التتريك<sup>1</sup> الذي فرضته حكومة جمعية الاتحاد

---

1- محمد أمين هلال، مع القوميتين الإسلامية والعربية، سلسلة البحوث الإسلامية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1974، ص 27.

2- عبد العزيز الدوري، أوراق في التاريخ والحضارة، الجزء 03، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007، ص 290.

3- قسطنطين زريق، في معركة الحضارة، دار العلم للملايين، ط 4، بيروت لبنان، 1981، ص ص 47-278.

4- محمد أمين هلال، المرجع السابق، ص 27.

والتتري ، وبناء صرح الدولة العربية الكبرى التي تضم الحجاز والشام والعراق، لكن آماله تقوضت بعد عقد فرنسا وبريطانيا اتفاقية سايكس بيكو سنة 1916 والتي قسمت إرث الإمبراطورية العثمانية وبخاصة المشرق العربي<sup>2</sup>.

جسدت هذه الفكرة في فترة أواسط القرن العشرين حتى نهاية السبعينات، الحركة الناصرية والتيار البعثي الذين كانا الأكثر شيوعاً في الوطن العربي خصوصاً والتي تميزت بقيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا.

ويؤمن القوميون العرب بالعروبة كعقيدة ناتجة عن تراث مشترك من اللغة والثقافة والتاريخ إضافة إلى مبدأ حرية الأديان.

ومن أبرز منظري الفكر القومي العربي محمد عزة دروزة<sup>3</sup> الذي كان يرى أن العرب كجنس واحد ينشد الوحدة السياسية والتاريخية منذ البدء ومن أقدم أزمنة التاريخ، وأما زكي الأرسوزي المفكر والناشط السياسي البارز فقد أسس حزب البعث العربي، وكان يرى أن الانتماء يقوم على شعور فطري سابق على العقل، فلا مناص للفرد من انتمائه القومي، القائم على الاصل والجنس البشري... وكان يقول أيضاً: "إن البعث يقوم على الشعور القومي الذي يتجاوز العقل ويستقر في الغريزة".

وطالب الأرسوزي العرب بتشكيل دولة اتحادية، تتبع سياسة اللامركزية متمثلاً بالاتحاد الفيدرالي مع الأتراك، وكان يفسر لجوء العرب إلى الفكر القومي من باب إحياء الإسلام. وطرح في مقابل ذلك فكرة القومية الإسلامية التي تستند إلى الأخوة الدينية وتستند القومية العربية إلى تاريخ الصدر الأول من الإسلام ووشائج الأرحام أولى بالاستجابة من ووشائج الأديان<sup>4</sup>، وأن الوحدة الأدبية والثقافية تجمع كيان الأمة الإسلامية قاطبة.

---

1- ابو الحسن علي الندوي، الصراع الفكري بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الاقطار الإسلامية، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2006، ص86.

2- صابر طعيمة، الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين، دار الجيل، بيروت، 2004، ص309.

3- محمد عزة دروزة كان قومياً متفتحاً على الحضارة العربية والإسلامية واعتبرهما من أوكد الأسس لقيام كيان الأمة العربية الموحدة وقد ضمن هذه الأفكار كتابه "الدستور القرآني والسنة النبوية في شؤون الحياة"، كما له مؤلفات عديدة في المجال الفكري الإسلامي. أوضح من خلالها أن ما احتواه القرآن والسنة النبوية من نظم لمختلف شؤون الحياة كفيل بتحقيق السعادة والقوة والحضارة، ويمثل كتابه المذكور تحولاً كبيراً في حياة المؤلف بعد أن استوفى دراسات التاريخ القومي وقضايا المجتمع العربي، حيث أدرك أهمية التماس منهج القرآن والالتزام به لتحقيق أهداف الأمة العربية...

وتميزت مؤلفاته بالصبغة الإسلامية المتنوعة التي واجهت الاستشراق والتبشير مثل "القرآن والمرأة"، "القرآن والمبشرون"، "اليهود في القرآن الكريم وغيرها، اعتلى دروزة عدة مناصب علمية وسياسية كعضوية المجلس الأعلى للفنون والآداب في القاهرة وعضوية مجمع اللغة العربية في القاهرة.

4- محمد أمين هلال، مع القوميتين الإسلامية والعربية، سلسلة البحوث الإسلامية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، 1974، ص24.

فاللغة العربية هي من الدين لأنها اختارها الله لسانه وستبقى إلى آخر الزمان، وإعزاز العروبة من شعائر الإسلام<sup>1</sup>. وفضل اللغة العربية على الحياة والعلم ومسايرتها لهما لا ينكره إلا جاحد<sup>2</sup>.

## 2. تحدي الحداثة

لفظ الحداثة modernité مأخوذ من الأصل اللاتيني mode، والتي تعني الطريقة أو الكيفية، ولم يكن لهذا اللفظ في اللغة العربية كغيره من المصطلحات الوافدة أي مدلول فكري أو فلسفي، بينما عرفت القواميس الأوروبية منذ 1680 حتى 1792 دون أن يتوصل اللغويون والفلاسفة الغربيون لصيغة موحدة لمفهوم الحداثة<sup>3</sup>.

ويمكن تبسيط مفهوم الحداثة بالقول أنها توصيف لقيمة فلسفية واجتماعية أوروبية، ارتبط ظهورها بأعمال عدة شعراء وأدباء وناشطين سياسيين، كالشاعر الفرنسي بودلير 1821-1867، والأديب بالزاك، الذي كان يرى أن الحداثة مرحلة ضرورية لما بعد النهضة والتنوير، ويجزم البعض في أن الحديث عنها يعود إلى القرن الخامس الميلادي، مرحلة الانتقال من التاريخ الروماني القديم إلى التاريخ المسيحي<sup>4</sup>.

ويعرف آخرون الحداثة بالوعي بالمرحلة التاريخية التي تقيم علاقة مع الماضي من أجل أن نفهم ذاتها باعتبارها نتيجة لنوع من الانتقال أو العبور من الماضي إلى الحاضر<sup>5</sup>. ويربط بعض الفلاسفة بين الحداثة والتكنولوجيا التي بدأ الإنسان يستعملها في مختلف شؤونه اليومية، بالقول: "الحداثة انتشار لمنتجات النشاط العقلي العلمية والتكنولوجية والإدارية، هي تميز لعدد من قطاعات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحياة العائلية والدين واللغة"<sup>6</sup> واللغة<sup>6</sup>

ويفكك آخرون مصطلح الحداثة إلى أبعاده البنوية من حيث الدلالة اللغوية فهو يعني من جهة الزمن الذي هو نقيض القدم، ويعني الابتداء وأول الظهور والذي يشمل معاني الجدة والطارئة ويعني كذلك الخطاب الذي يضم معنى الحديث والمحادثة والتحديث ويعني كذلك أيضا معنى الوجود الذي يشير للحدوث والحدث والحادث والحوادث...فأي المقاربات يمكن أن نسوقها للاستدلال على هذا المصطلح الذي أرق الكثير من المفكرين والفلاسفة...?<sup>7</sup>

1- محمد أمين هلال، المرجع نفسه ص 161.

2- محمد الخضر حسين، دراسات في العربية وتاريخها، المكتب الاسلامي، دمشق، ط2، 1960، ص09.

3- محمد جديدي، الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي، الدار العربية للعلوم، ط1، الجزائر، 2008، ص115.

ص13..

4- الزواوي بغورة، ما بعد الحداثة والتنوير، دراسة نقدية، دار الطليعة، بيروت لبنان، 2009، ص41.

5- الزواوي بغورة، المرجع نفسه، ص41.

6- محمد جديدي، المرجع السابق ص13..

7- محمد جديدي، المرجع نفسه ص160..

ويرى عبد الله العروي أن "الحدائثة موجة، والعموم ضدها مخاطرة، فماذا يبقى؟ إما الغوص حتى تمر الموج فوق رؤوسنا فنظل حثالة، وإما نعوم معها بكل ما لدينا من قوة فنكون مع الناجين وفي أي رتبة كانت"<sup>1</sup>.

ويحمل فكر الحدائثة عدة قيم لا تزال تبحث عن ذاتها في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، منها الديمقراطية حقوق الإنسان والمرأة، وفي هذا الإطار فقد شكلت هذه القطبية مجال بحث جديد، وكتابات متعددة تحت مسمى "الإسلام وتحديات العصر"، تحدث من خلالها الكتاب عن الديمقراطية مرغبين الحدائثيين في اعتبارها تجسيدا لقيم الإسلام الروحية<sup>2</sup>، ويرى عبد الرحمن الكواكبي على سبيل المثال لا الحصر، أن الإسلام الحق لا يتعارض مع الديمقراطية التي تعمل للمصلحة العامة، وأن الإسلام دين الحرية السياسية وأن القرآن مملوء بإماتة الاستبداد والتمسك بالعدل<sup>3</sup>.

وارتبط التاريخ المعاصر الذي يحمل بقوة قيم الحدائثة والأنسنة بشيء من القلق النفسي والاجتماعي للإنسان، أو ما اصطلح عليه "إنسان القرن العشرين" حيث أخضعت الأخلاق والقيم للدراسات والتساؤلات<sup>4</sup> أكثر من أي وقت مضى، وحمل التاريخ المعاصر بشدة على القيم الانسانية الموروثة بكافة أشكالها مسنودا بطرف جديد أنتجه العقل البشري المشترك على مر العصور والمتمثل في "العلم"، وكانت النتيجة تراجع القيم المؤثرة في حياة الإنسان المعاصر، وضعف تمسك الجماهير بها مما أدى الى انتشار الإباحية والإلحاد، وسلكت بالفن والأدب طرقا جديدة للتعبير الشاذ لا توجد سوى في مخيلات أصحابها<sup>5</sup>.

ويعتبر البعض أن حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية، ترتبط ارتباطا وثيقا بالعقيدة الإسلامية، فلا مجال لمخالفتها والتفكير في إرساء قواعد الأنظمة الشمولية الاستبدادية التي تحاربها الليبرالية والحدائثة، مركزين على معاني قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"<sup>6</sup>، وقوله تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"<sup>7</sup>.

1- عبد السلام بنعبد العالي، التاريخانية والتحديث دراسة في أعمال لعبد الله العروي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2010، الصفحة الأخيرة.

2- حسن صعب، الاسلام وتحديات العصر، المرجع السابق، ص 123

3- احمد امين، زعماء الاصلاح المرجع السابق، ص 256..

4- الربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، sned، 1980، الجزائر، ص 69.

5- الربيع ميمون، المرجع نفسه، ص 71.

6- سورة الحجرات، الآية 13

7- سورة الإسراء، الآية 70

وأما حقوق الإنسان في الفكر الغربي، فإنها حق طبيعي، ينبع من السيادة المطلقة للإنسان، والذي لا تعلوه سيادة وفق اعتقاد زعماء هذا الفكر، وجعل من مسؤولية الدولة حماية الحريات دون رعاية الشؤون مما يجعل هذه الحقوق نظرية لا واقعية

وعلى خلاف ذلك فالفكر الاسلامي يجعل من حق الشعوب إزالة الظلم السياسي، وإزالة أي قانون بشري مهما سما وأطلق عليه مصطلحات مزخرفة، لعدم جواز العبودية لغير الله تعالى من حقه الحياة الحرة الكريمة.

ومن الواضح أن الأساس الفلسفي الذي قام عليه مفهوم حقوق الإنسان في الاسلام، هو تكريم الإنسان بما يمكنه من القيام بدوره في المجتمع وتحقيق تقدم المجتمع من في شتى المجالات.

ومن أكثر المسائل التي لقيت نقاشا كبيرا في هذا الموضوع قضية الديمقراطية التي يعتبرها الفكر الحدائي من أوكذ حقوق الإنسان التي لا مناص من ممارستها أفرادا وجماعات، ويؤكد منظرو الفكر الاسلامي أن الديمقراطية بالمفهوم الحدائي تتصادم مع مقاصد الشريعة الاسلامية، وينبغي أن ترتبط بمضامين الشورى التي هي ركن أساسي في المنظومة السياسية الاسلامية<sup>1</sup>، وفي هذا الصدد يصرح حسن الترابي رحمه الله أن الديمقراطية في الاسلام لا تعني سلطة الشعب المطلقة بل هي سلطة الشعب وقفا على الالتزام بالشريعة الإسلامية<sup>2</sup>.

أيضا على مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة، الإسلام جعل القاعدة الأساسية هي المساواة مع الاستثناء المحدود وهو وجود فوارق لصالح الرجل وأحيانا المرأة وفقا لاختلاف الطبيعة الجسدية والظروف الاجتماعية ومسؤولية كل منهما في الأسرة.

### 3. التطرف الديني والفكري.

الاسلام دين الاعتدال والاستقامة والاعتصام بجاعة المسلمين، وأهل السنة والجماعة متمسكون بالكتاب والسنة وملتزمون بنصوص الكتاب سواء محكمه أو مشاهبه، فالألوهية عندهم هي أفراد الله رب العالمين بتوحيده وأنه رب كل مخلوق ومليكه وخالقه وهو الواحد المستحق للعبادة والتضرع والدعاء<sup>3</sup>.

في ظل الظروف الاجتماعية والسياسية والفكرية الصعبة التي أمت بالمغرب الإسلامي وكان من أبرز نتائجها ضياع الأندلس وشيوع الفوضى والاضطرابات المختلفة، على جميع الأصعدة والتي كادت

1- مجموعة من المؤلفين، إسلاميون وقضايا الدولة والمواطنة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2017، ص

403.

2- المرجع نفسه، ص 403.

3- محمد أحمد عبد القادر، ملامح الفكر الاسلامي بين الاعتدال والغلو، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2003، ص 25.

تعصف بالمجتمع الإسلامي، شاعت ظاهرة الغلو والتطرف والتكفير للمسلمين بعضهم لبعض، وامتد هذا الداء حتى شمل بعض العلماء والفقهاء أو ممن يحسبون على هذه الفئة<sup>1</sup>.

ومن أخطر البدع والضلالات الفكرية التي لقيت رواجاً عند بعض المتدينين اعتبار الحياة الإسلامية اليوم كنوع سابق من الحياة الجاهلية التي عاشها العرب قبل بعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام والتي تقتضي حسب زعم بعضهم إلى الدخول في الإسلام من جديد<sup>2</sup>. وسعى بعضهم إلى الربط بين الإسلام والتخلف السياسي، كنتيجة من نتائج الغلو والتطرف<sup>3</sup>.

ويمثل تماسك المجتمع الإسلامي ووحدته الفكرية والعقدية من أهم الرهانات التي يحرص الفقهاء والعلماء على صيانتها والذود عنها إذ أن إدراك مسارات الانحراف الديني والأخلاقي داخل المجتمع، فوجود ظاهرة الغلو في المجال العقائدي والكلام في ما لا ينبني عليه عمل هو من الإشارات البارزة التي تشغل المجتمعات عن العمل والإبداع وتحسين مستوياتها الفكرية والعلمية.

ولا تزال مسألة الغلو والتطرف ترافق المجتمعات العربية، وتتوارثها الأجيال كإبراً عن كابر، وتمثل بالنسبة لكثير من الباحثين نتيجة خطيرة من نتائج تفشي الجهل بالدين من جهة ومن جهة ثانية تعد وسيلة لمقاومة الحداثة باسم الدين وتمسك النخب المحافظة بجلابيها حتى لا تفقد مكانتها ومنزلة الاجتماعية، فقد كانت الطرق الصوفية دوماً بالمرصاد في محاربة أي فكر تجديدي يقوم على الاجتهاد والنظر واعتبرته مروفاً من الدين، وخروجاً عن ملة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وطالما حاربت عناصر المجتمع التي تستلهم من الفكر الصوفي حركات الإصلاح وجهود العلماء المتنورين، سواء في المغرب أو في المشرق الإسلاميين.

#### 4. الخلافات المذهبية.

صبغت ظاهرة الخلافات المذهبية التاريخ الإسلامي والتاريخ الإنساني كذلك بألوان داكنة وقاتمة، فأغلب المآسي التي ألمت بالبشرية كانت تحت قبة الإكراه الديني والتعصب المذهبي.

والأصل في خلق الإنسان الاستواء والعدالة والأخوة تأسيساً على الأصل الواحد للناس، قال الله تعالى في القرآن الكريم: "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ"<sup>4</sup>

ومع مرور الزمن ابتعد الناس عن مصادر الخير والنصح، ووقعوا في أسر الأهواء والشهوات والأطماع، روى الطبري في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان بين نوح وأدم عشرة قرون

1- فؤاد محسن الراوي، المرجع السابق، ص235.

2- فهدى هويدي، التدين المنقوص، دار الشروق، ط01، القاهرة، 1994، ص231.

3- فهدى هويدي، المرجع نفسه ص103

4- سورة البقرة، الآية 213.

كلهم على شريعة من الحق، فاختلّفوا فبعث الله النبيين والرسل يهدونهم ويبينون لهم طريق الخير والحق، وكان موقف الناس، من دعوة التوحيد مؤمنون سلكوا سبيل الإسلام، وآخرون رفضوا التوحيد وكفروا به فضلوا عن سواء السبيل"، وصنف الفقهاء والعلماء هذا الاختلاف في تلقي دين التوحيد في خانة الاختلاف المرفوض الذي يهلك صاحبه، ويرديه في النار بعد البعث.

أما الاختلاف بين المؤمنين في فهم مبدأ التكليف وشرائطه وأركانه وقراءة جوهره، فاختلاف محمود ومقبول، وقد حدث بين الصحابة رضي الله عنهم، كقصة صلاة العصر في بني قريظة، وهي مسألة معروفة عند رواة السير.

وقد وقع الخلاف بين الصحابة والتابعين حينما اطلع بعضهم على النص، وحُرم الاطلاع عليه البعض الآخر، لسبب أو لآخر كعارض جغرافيا أو موت أو هجرة، فإذا اطلع بعضهم على النص، ولم يطلع عليه البعض الآخر، فيفتي من لم يطلع على نص بالمنع مثلاً على الأصل وهو الإباحة، خلافاً للذي بيده النص.

فالصحابة لما تفرّقوا في البلدان شرعوا يُفَقِّهون الناس، واختص كل منهم ببيئة مُعَيَّنة، فاخص ابن عباس بمكة، وابن عمر بالمدينة، وابن مسعود بالكوفة، ومعاذ باليمن، وهكذا، وأخذ الناس عنهم هذا الذي اجتمع لهم، إلى جانب ما أفتوا فيه بأرائهم فيما كان يجد من أحداث، دون أن يحفظوا له أثراً عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو يعلموا له نصّ حُكْمٍ من الكتاب<sup>1</sup>.

وبسبب ذلك وجدت بذور الخلاف بين سلف الأمة في المسائل التي ليس فيها نص صريح، أما النص القطعي فلا يمكن أن يحدث خلاف فيه، خاصة زمن الصحابة المشهود لهم بوفور التقوى والصلاح.

ويرى الباحثون أن الاختلاف المذموم والتعصب للراي حتى في المجال الفقهي الذي يقوم فيه الدليل من الكتاب والسنة، قد ساهم في انتشار التطرف بسبب تمسك الاتباع بالنص الحرفي ورفضهم الحوار والتاقلم مع مخالف مذهبهم وفي احيان كثيرة تتحول الخلافات الى خصومات واعمال عدائية ومناوشات تسببت في مرات عديدة في قتل الابرياء من الناس ظلما وعدوان.

وعرف الصراع الفقهي الذي كان في القرنين الثاني والثالث الهجريين، أشد صور التعصب للمذاهب وأثمتها، وتذكر في هذا الإطار كتب التاريخ محنة أبو جرير الطبري الفقيه والمؤرخ كيف أن خصومه من أتباع المذهب الحنبلي في بغداد بالغوا في إيذائه ومنعه من التدريس والاتصال بالناس، إلى حد منعه من الدفن في مقابر المسلمين ببغداد.

1 - معي الدين عبد السلام البلتاجي، عرض للخلاف بين المدارس الفقهيّة مقال اليكتروني. موقع ألوكة.

ولا يزال الاختلاف الفكري والفقي سيد الساحة المعاصرة، عجز منظرو الفكر الاسلامي الحديث والمعاصر عن بلورة قناعات يلزمون بها الاتباع بضرورة تقصي العدالة وقبول الراي الاخر وجواز تعدد الاراء في المسالة الواحدة.

وقد كان من أبرز نتائج هذه الظاهرة تفكك بني المجتمع وتشتته وانقسامه الى طوائف متناحرة.

#### 5. التوفيق بين الأصالة والمعاصرة

المعاصرة كلمة مشتقة من العصر وتعني التزامن والتوافق مع العصر المعاش، ويفسرها بعضهم بالحدائثة وتعني السمة البارزة من تاريخ الانسان لما بعد الثورة الصناعية والمتميز بسيطرة التكنولوجيا على مختلف شؤون الحياة وتداخلها مع الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للانسان، ويعرف بعض العلماء الاجتماعيين الحدائثة بأنها التطورات العلمية والتكنولوجية المحيطة بالانسان، دون اغفال للوجه الداخلي الذي أفرزته عليه من خلال تلك القيم الانسانية المتعددة كالايجابية والتشاركية والتفاعل الجمعي<sup>1</sup>.

لقد برزت ثلاثة مواقف وتيارات تجاه الغرب هي :

#### التيار المؤيد:

وكان يرى أن العالم العربي والإسلامي إذا أراد التقدم والحاق بالركب الحضاري فعليه أن يقبل بكل شيء يفد إليه من الغرب، ويرفض كل تراثه ومبادئه الدينية والفكرية والحضارية، والسعي لمحاولة فك الارتباط الحضاري للمجتمعات العربية والإسلامية عن تاريخها وماضيها الإسلامي..<sup>2</sup> ، والأصالة والتجديد قيم ثابتة في الثقافة العربية<sup>3</sup> ، كما أن الفكر العربي متمكن من توفيق بين الأصالة والتجديد، فهو فكر متفتح وقابل للاستفادة من الثقافات الأخرى<sup>4</sup>.

وقد طرح الكثير من المثقفين قضية التعارض بين الثقافة الموروثة وبين الحدائثة وقيمها، ويعتبرون الفكر العربي المعاصر تحده سدود منيعة يجب على العقل العربي تجاوزها، منها العادات والتقاليد والخرافات<sup>5</sup>.

#### التيار الرافض:

يرى في تقليد الغرب بدعة وضلالة وعملا محظورا، باعتبار الغرب العدو الحضاري الأول للعالم العربي والإسلامي، فعزل الأمة الاسلامية عنه يعني الحفاظ عليها من التأثيرات المختلفة التي تشكل

1- معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت، 1993، ص71.

2- محي الدين محمد، ثورة على الفكر العربي المعاصر، ودراسات اخرى، المكتبة المصرية، صيدا لبنان، 1964، ص ص 67-

3- زكي نجيب محمود ، ثقافتنا في موادها العصر، دار الشروق، بيروت لبنان، 1982. ص9

4- محمد عبد الرحمن مرجبا، أصالة الفكر العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2... 1983، ص237

5- محي الدين محمد، المرجع السابق، ص69.

خطرا علميا، ويفرض دعاة هذا التوجه فكرة الاكتفاء في التعامل مع الغرب على المستوى الاقتصادي والسياسي فقط، لأن هذا التعاون يجمع بين طياته جملة القيم الثقافية والاجتماعية والحضارية، التي يروج لها الغرب، والتي ستفرض على الأمة الإسلامية، وأن أغلب النخب المفكرة والأيدولوجيات التي يحملونها لا تصف الأزمة العربية والإسلامية بصورة صادقة وحقيقية، وأن هذه الأيدولوجيات كانت تصور الواقع العربي والإسلامي صورا غير صحيحة، ولا تعالج معضلة هذا الجزء المهم من العالم، بقدر ما تزيد في تخبطه، في الجهل والتخلف والخرافة والأمراض والصراعات.

### التيار التوفيقية

يدعو إلى التوفيق بين الأصالة الدينية والتاريخية، ومكتسبات الحضارة الغربية الحديثة كون هذه الأخيرة مكسبا إنسانيا لم يساهم في بلورته الرجل الأوروبي وحده بل اشتركت البشرية جمعاء عبر أجيالها في صياغتها عبر التراكم الحضاري لمختلف التجارب الإنسانية..

فالتوفيق بين الأصالة والمعاصرة ليس معناه التوفيق بين المبادئ العربية والإسلامية والقيم الغربية العلمانية الملحدة، وإنما يعني الأخذ بما يخدم المجتمعات العربية والإسلامية من القيم الحية كالحرية والمسؤولية الفردية والإبداع والتفكير العلمي المنطقي والمنهجية السليمة والإيجابية في التفاعل بين مختلف عناصر المجتمع.

### 6. العلمانية

العلمانية هي فصل الحكومة والسلطة السياسية عن السلطة الدينية، وعدم قيام الحكومة أو الدولة بإجبار أي أحد من مواطنيها على اعتناق عقيدة وتبني معتقد أو دين أو تقليد معين لأسباب ذاتية غير موضوعية<sup>1</sup>.

كما تكفل الدولة الحق في عدم اعتناق دين معين وعدم تبني دين معين كدين رسمي للدولة، وذلك مفاده أن الأنشطة البشرية يجب أن تكون غير خاضعة لتأثير المؤسسات الدينية.

تعود جذور العلمانية إلى الفلسفة اليونانية القديمة، لفلاسفة يونانيين أمثال إبيقور، غير أنها خرجت بمفهومها الحديث خلال عصر التنوير الأوربي، على يد عدد من المفكرين أمثال توماس جيفرسون، وفولتير ومونتيسكيو وجون جاك روسو وهلم جرا.

ويرى بعض الفلاسفة أن العلمانية ذاتها ليست ضد الدين، بل تقف على الحياد منه، ويعد الكاتب الإنكليزي جورج هولوك (1817-1906) أول من نحت مصطلح "علمانية" عام 1851.

وتعرف دائرة المعارف البريطانية العلمانية بانها: "حركة اجتماعية تتجه نحو الاهتمام بالشؤون الدنيوية بدلاً من الاهتمام بالشؤون الآخوية"

1- صابر طعيمة، المرجع السابق، ص 142.

وقد اصطبغ العالم مع نهاية القرن 19م بالصبغة العلمانية التي صارت تحكم اغلب الدول الكبرى التي استطاعت أن تضع حدا لتدخل الكنيسة في الشؤون العامة، وقد حذت النخب الاصلاحية والتنويرية حذوها في المطالبة بالاصلاح وتقليص دور الدين في الحياة العامة، وأحدثت جدلا كبيرا في تونس ومصر والشام والعراق، إبان حركة النهضة التي عرفت هذه البلدان في القرن التاسع عشر الميلادي.

وقد تأثرت أغلب النخب الوطنية والعربية بالفكر العلماني، واعتبرته الوسيلة الوحيدة الناجعة لتحقيق التطور والنمو في البلاد العربية أسوة بما حصل في بلاد الغرب، وفي هذا الصدد يقول المفكر السوري جورج طرابيشي أنّ العلمانية هي بمثابة حلّ للمجتمعات العربية لا بل ضرورة ملحة. ولا تزال هذه الأفكار والمبادئ تلقى معارضة شديدة في البلاد العربية من فئات اجتماعية وفكرية ودينية عديدة كالزوايا والطرق الصوفية والمحافظين وغيرها.

## 7. التغريب

التغريب تيار فكري سياسي واجتماعي وثقافي وفني يهدف الى صبغ حياة المسلمين بالطابع الغربي، ويخلط الكثير من المهتمين بالشأن الاصلاحى بين الحداثة والتغريب، فإذا كانت الحداثة تعني بالجانب المادي للحضارة الغربية والاختذ بنظم الحياة المدنية فيها من وسائل تعمير ونقل وغدارة وتعليم فإن التغريب يهدف إلى إحلال الروح الغربية المتشعبة بالقيم الكنسية والالرحاد محل الروح الاسلامية التي تسيّر شؤون المسلمين في بلاد الاسلام<sup>1</sup>.

ويعد التغريب من أبرز أهداف البعثات التبشيرية في الشام، ومن أول التيارات التي عملت على نشر الفكر التغريبي ناصف اليازجي<sup>2</sup> 1800-1871 وابنه إبراهيم اليازجي 1847-1906، الذين كانا على صلة وثيقة بالإرساليات الأمريكية الإنجيلية.

وكذا نشط بطرس البستاني 1819-1883 الذي انشا مدرسة لتعليم العربية ونشر الفكر القومي مجسدا مقولة "حب الوطن من الايمان"، وجورجي زيدان 1861-1914 الذي كان على صلة وثيقة بالبعثات الامريكية والاستشراقية التي أضرت كثيرا بالفكر الإسلامي وتاريخ الاسلام؟؟،

1- صابر طعيمة، المرجع السابق، ص 361 وما بعدها..

2- ناصيف اليازجي 1800-1871، أديب ولغوي وشاعر ومحقق لبناني من اسرة اليازجي التي نبغ فيها الكثير في الفكر والأدب، لعب دوراً كبيراً في إعادة إدخال اللغة العربية في التعليم والترجمة والأدب خلال القرن التاسع عشر، يعد أبرز المساهمين في ترجمة الإنجيل والعهد القديم إلى العربية في العصر الحديث. وترك السازجس عدة مؤلفات فس اللغة والنحو والصرف والأدب و غيرها من العلوم. ومما ألف أيضا "نار القرى في شرح جوف الفرا" في الصرف والنحو، و"فصل الخطاب في أصول لغة الأعراب" وهي رسالة في النحو، و"فاكهة الندماء في مراسلات الأديباء".

ومن ابرز الوجوه العربية التي ساهمت في تشجيع الفكر التغريبي الأديب المصري طه حسين 1889-1973 الذي كان يقول: " للتوراة ان تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل وللقران ان يحدثنا ايضا ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقران لا يكفي لاثبات وجودهما التاريخي" وقال اللورد لويد جورج حينما افتتح كلية للعلوم الانسانية في مصر سنة 1936م: "كل هؤلاء لن يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ".

وكان نصارى الشام من أول من اتصل بالبعثات التبشيرية وبالإرساليات التغريبية وسارعوا في تلقي الثقافة الفرنسية والإنجليزية، كما كانوا يشجعون العلمانية التحررية وذلك لعدم إحساسهم بالولاء تجاه الدولة العثمانية، بل انكبوا على تقويض أساساتها، وبالغوا في إظهار إعجابهم بالغرب ودعوا إلى الاقتداء به وتتبع طريقه، وقد ظهر ذلك جليا في الصحف التي أسسوها وعملوا فيها<sup>1</sup> وأسس بطرس البستاني في عام 1863م مدرسة لتدريس اللغة العربية والعلوم الحديثة فكان بذلك أول نصراني يدعو إلى العروبة والوطنية إذ كان شعاره: "حب الوطن من الإيمان" كما ذكرنا انفا.

كما أصدر صحيفة الجنان سنة 1870م التي استمرت ست عشرة سنة وقد تولى منصب الترجمة في قنصلية أمريكا ببيروت مشاركا في الترجمة البروتستانتية للتوراة مع الأمريكيين سميث وفانديك.

كما كان قاسم أمين 1865 – 1908م يدعو الى تحرير المرأة وتمكينها من العمل في الوظائف والأعمال العامة اقتداء بالغرب، وكتب كتاب "تحرير المرأة" سنة 1899م و"المرأة الجديدة" سنة 1900م ضمنهما كثيرا من القيم التغريبية. وعمل وفق هذه القيم سعد زغلول وأحمد لطفي السيد 1872 – 1963م وطه حسين 1889 – 1973م.

وكان طه حسين يقول في كتابه الشعر الجاهلي "للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقران أن يحدثنا أيضا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقران لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي".

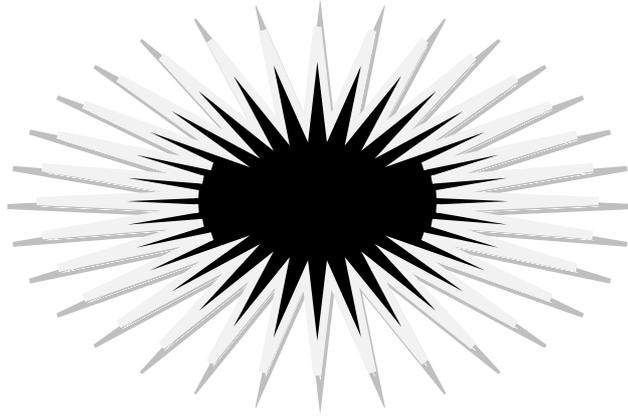
ومن أبرز أهداف حركات التغريب:

إحياء الحضارات القديمة في العالم الإسلامي والنفاذ من خلالها إلى قيمها ومنطلقاتها اللادينية. محو الفروق بين العالم الإسلامي والعالم الغربي.

1- أنور الجندي، شهادات التغريب في العالم الإسلامي، المكتب الاسلامي، القاهرة، دت.

الدعوة إلى تقديس القوميات والنعرات الجاهلية والاعتزاز بها لتكون بديلا عن الاعتزاز بالدين  
وقيمه والإشادة بما حققته الوطنية الغربية.  
الدعوة إلى الالتفاف حول القيم الإنسانية، ونبذ ما سواها<sup>1</sup>.  
وغيرها من التحديات..

?



---

1-- فؤاد محسن الراوي، المرجع السابق، ص318.